السبت 4 آب 2018
العدد 3533 السنة الثانية عشرة
samedi 4 Août 2018 no 3533 12ème année

32 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

هكذا تكلّم أمبرتو إيكو

ميزان «الحرب والسلم» في الشمال السوري

إدلب: «التحرير المتدرّج» بالنار أو بالتفاهمات [16]

عواصم عربية تحرّض الحريري ضد عون [4]

بواخر الطوائف نكايات ومصالح

[2 ـ 3]

مصر تصرف 8 مليارات، فتصدّر الكهرباء خلال 25 شهراً فقط (هيثم الموسوي)

ذكرى

6 دقائق في 12 تموز 2006: **«بلغوا السيد... الأمانة معنا»**

6

تقرير

فضيحة المطار: **لا تبريد وأعطال بالجملة**

5

اليمن

صنعاء عن اعلان غريفيث: **غطاء لتصعيد عسكري جديد**

18

على الغلاف

باخرة الزهراني: نكايات سياسية ومصالح مالية

الإعلان الاحتفالي لنواب كسروان باقتراب حصول منطقتهم على كهرباء 24/24، ربطاً باقتراب نقل الباخرة الثالثة إلى الزوق، قابلته عاصفة غضب جنوبية، ربطاً برفض حركة أمل رسوّ «السلطانة التركية» في الزهراني، وربطاً باقتراض حرمان المنطقة الكهرباء 24/24. لكن الحركة بدت مصرّة على موقفها: البواخر تعرقل الحلول المستدامة ولن نستسلم لها

إيلي الفرزلي

لا خلاف على أن حركة أمل هي التي رفضت أن تستقر الباخرة التركية الثالثة في المكان الذي حددته شركة كهرباء لبنان، بوصفه أفضل مكان يمكن من خلاله الاستفادة من كامل طاقة الباخرة المقدَّرة بـ235 ميغاواط (القرار 6262 الصادر في 2018/6/21). علّلت المؤسسة قرارها بإرساء الباخرة في الزهراني حينها بـ«وضع العديد من محطات التحويل الرئيسية الجديدة 220 ك. ف. قيد الخدمة (صيدا، الضاحية، الأشرفية، بعلبك)، ما يتطلب وضع قدرات إنتاجية إضافية على شبكة الـ220 ك. ف. لتغذية هذه المحطات».

> **امل تتبنى رفض الباخرة، وحزب الله صامت، والناس يسألون عن هوية المسؤول**

كان يفترض أن تسير الباخرة بعد ذلك إلى حيث تقرر. لكن سرعان ما تبيّن أن الاعتراضات عليها كبيرة، ولأسباب متنوعة أبرزها:

ـ اعتراض أهالي الغازية وبلديتها على الباخرة التي تزيد من نسب التلوث في المنطقة، ومطالبتهم المقاول بتوقيف أعمال التحضير لوصول الباخرة (رسالة صادرة في 22 حزيران، أي بعد يوم واحد من قرار كهرباء لبنان). وقد اقترنت هذه الخطوة بزيارة وفد من بلديات الجنوب للرئيس نبيه بري، لإطلاعه على أسباب رفض الباخرة، حيث نقل عنه حينها قوله إن «من غير المسموح اللعب بأرزاق الناس ومصالحهم، والضرر مش مقبول أبداً، وما دام هذا قرار الغازية مجتمعة أنا معكم».

ـ عدم ضمان أن تبقى الباخرة لثلاثة أشهر فقط، انطلاقاً من أن وجودها قد يعرقل الحلول المستدامة لأزمة الكهرباء. وقد قُرن هذا السبب بالكثير من الشكوك المرتبطة بالتخوّف فعلياً من عرقلة مساعي رجل الأعمال (ق. ح.) للحصول على حق تنفيذ معمل في الموقع، علماً بأنه سبق للرجل أن تقدم بعرض لإنشاء معمل في الزهراني في المناقصة التي ألغيت.

ـ الحفاظ على مصالح أصحاب المولدات، وعلى رأسهم رئيس بلدية الغازية محمد سميح غدار، الذي يملك شركة تعمل في قطاع المولدات الكهربائية (مسجلة في جمعية الصناعيين اللبنانيين)، علماً أن الأخير نفى ذلك، وقال إن شركته تعمل باقل من نسبة ثلاثة بالمئة في لبنان.

في مواقع التواصل، بدا واضحاً أن من شنّ الحرب على رافضي الباخرة، إما ينتمون إلى حزب الله أو يناصرونه، خاصة أن الحزب لم يعترض على ربط الباخرة بالزهراني، وقد قام النائب نواف الموسوي بمسعى على خط «أمل» ـ «كهرباء لبنان»، إلا أن محاولته باءت بالفشل، نتيجة إصرار «أمل» على موقفها، الذي أبلغته إلى المؤسسة مباشرة.

عند هذه النقطة، انتهى النقاش وانتقلت باخرة Ersa Sultan إلى الجية، حيث أعلنت الشركة المالكة لها ربطها على الشبكة في 18 تموز الماضي. لكن هناك برزت مشكلة تقنية مرتبطة بعدم القدرة على الاستفادة بأكثر من 40 ميغاواط من قدرة الباخرة البالغة 235 ميغاواط، بسبب عدم قدرة مخارج معمل الجية وشبكة النقل التي تنطلق منه على تحمّل أكثر من هذه الكمية.

الباخرة باقية؟

مصادر حركة أمل تعيد التذكير بموقفها المبدئي الرافض للاستعانة بالبواخر، وتذكّر بأن وزراءها سبق أن اعترضوا على بند البواخر، عندما طرح على مجلس الوزراء في جلسة 21 أيار. أما بيان الحركة، الصادر أمس، فيذهب بعيداً في التمسك بالموقف الرافض لرسوّ الباخرة في الزهراني، بالإعلان أنها «تهمة لا ننكرها وشرف ندعيه، لأن الباخرة ظاهرها مجاني للثلاثة أشهر، والحقيقة هي كلفة باهظة على اللبنانيين لثلاث سنوات، ولأنها ستعمل على تعطيل إنشاء معمل جديد في الزهراني الذي يشكل فرصة واعدة للعمل وحل لأزمة الكهرباء التاريخية للبنان...».

من جهته، يبدو الوزير علي حسن خليل في حديثه لـ«الأخبار» وأنّه من أن كل ما يُقال عن مغادرة الباخرة في 19 تشرين الأول المقبل، ذرٌّ للرماد في العيون، إذ إن مَن أحضر الباخرة إلى لبنان يدرك أنه عندما تربط بالشبكة سيكون صعباً التخلي عنها، ربطاً بالزيادة التي يمكن أن توفرها في التغذية بالتيار، والتي سيكون من الصعب أن يتقبل المواطنون خسارتها. لكن، في مؤسسة كهرباء، تكرار لعبارة واحدة: حتى لو أراد وزير الطاقة إبقاءها، فإن وزير المالية يملك التوقيع على الاعتمادات، وبالتالي سيكون قادراً على حجب الأموال عنها، وعندها إذا أرادت أن تبقى مجاناً، فاهلاً وسهلاً، وإذا رفضت المالية أن تدفع لها، فتنسحب من تلقاء نفسها. لكن للوزير علي حسن خليل وجهة نظر ثانية: من يستطيع أن يتحمل عدم التوقيع على اعتمادات تساهم في زيادة التغذية بالتيار؟ أما عن حاجة التمديد للعقد مع الشركة إلى قرار من مجلس الوزراء، فيوضح أنه بالمبدأ صحيح، لكن أمامنا تجربة الباخرتين السابقتين، بقيتا بحكم الأمر الواقع ثماني سنوات (مع قرارات حكومية)، ووجودهما كان سبباً مباشراً في عدم تحقيق أي تقدم في مسألة الحلول المستدامة.

في الأساس، يرفض خليل الحديث عن مجانية الباخرة: إنها تزيد من الأعباء على الخزينة، من جراء الفيول الذي تتكفل الدولة بتوفيره، تماماً كما فعل التمديد للباخرتين القديمتين لثلاث سنوات.

لكن بالرغم من كل الملاحظات المشروعة على البواخر، ما الرابط بين وجود الباخرة، التي وافق عليها مجلس الوزراء، وعارضها وزراء حركة أمل والوزير مروان حمادة، وإمكانية إنشاء معمل جديد في الموقع نفسه؟

نظرياً، لا رابط بين الاثنين، خاصة أنه يُفترض بالمناقصة التي أُقرّت في مجلس الوزراء أن تكون على السكة، لكن في المقابل، ثمة من يرى أن وجود الباخرة في موقع إنشاء المعمل، قد يسمح بالحصول على معلومات إحصائية يمكن أن تضرّ بالعرض الذي سيُقدَّم. لأمل وجهة نظر ثابتة: تكريس البواخر كأمر واقع يسمح بالتلكؤ بإنجاز المعامل، وتجربة السنوات الأخيرة أكبر برهان.

فرضية خاطئة

ما يزيد التشنج على مواقع التواصل الاجتماعي، كان افتراض أن مكان رسوّ الباخرة يعني تغذية تلك المناطق بالتيار لمدة تراوح بين 22 و24 ساعة يومياً. بُني هذا الافتراض على الإعلان أن نقل الباخرة إلى الزوق سيؤدي إلى توفير الكهرباء في المنطقة لفترة تقارب 24/24. هذا حكماً ليس صحيحاً، فبحسب مؤسسة كهرباء لبنان، ربط الباخرة بالزهراني كان سيحسّن التغذية في الجنوب كما في غيره من المناطق، بما معدله ثلاث ساعات يومياً، إلا أن أهمية وجود الباخرة في الزهراني مرتبط بوجود خط الـ220 هناك، الذي يسمح بتوفير التيار لكل المناطق التي تضمّ محطات رئيسية لشبكة الـ220 ك. ف.، علماً أن هذه المحطات موجودة في: الزهراني، صور، النبطية، المصيلح، صيدا، الضاحية، المكلس، جب جنين، كسارة، بعلبك، اللبوة، اليمونة. وهذا يعني، بالتالي، استفادة أغلبية مناطق الجنوب، وجزء من جبل لبنان ومعظم البقاع، من الباخرة التي كان يفترض أن ترسو في الزهراني، لكن ليس من طاقة على مدار الساعة كما تردد، بل هناك 3 ساعات إضافية من التغذية، علماً أن وجودها هناك هو الوحيد القادر على تأمين الاستفادة من كامل طاقة الباخرة (230 ميغاواط)، ولذلك فإن المؤسسة لا تزال حتى اليوم تفضّل ربط الباخرة بالزهراني.

بنتيجة رفض دخول الباخرة إلى الزهراني وانتقالها إلى الجية، انخفضت الطاقة المستجرة منها إلى 40 ميغاواط من قدرتها فقط، نظراً لمحدودية قدرة خطوط النقل على شبكة الـ 150 ك. ف. المربوطة بالجية. ومقابل هذه الكمية القليلة من الطاقة، كان الحل بنقل الباخرة إلى معمل الزوق (يُتوقع وصولها الأربعاء). الموصول أيضاً على خط الـ150 ك. ف.، أي الذي لا يمكنه نظرياً أن يزيد الطاقة على الشبكة أكثر من 40 ميغاواط، أسوة بالجية، لكن مع فارق بسيط كان حاسماً في ترجيح كفّته: في الزوق محوّل للطاقة من 150 ك. ف. إلى 66 ك. ف.، وهو يسمح بالتالي بنقل الطاقة من شبكة الـ150 إلى شبكة الـ66 المقفلة التي تضم 6 محطات (الزوق، جعيتا، حقل الريس، بكفيا، فيطرون وأدما)، وتسمح باستفادة أجزاء كبيرة من المتن وكسروان من زيادة الاستجرار من الباخرة الثالثة بنحو 90 ك. ف. تنقل على شبكة الـ66 غير المتاحة إلا في المناطق المذكورة سابقاً (غير موصولة على الشبكة العامة).

كل ذلك لا يعني الحركيين بشيء. مصدر في حركة أمل يقول لـ«الأخبار»: «صحتين على قلبكم (أهالي المتن وكسروان) هؤلاء لبنانيون مثلنا مثلهم» لكنه يكرر ما أشار إليه بيان الحركة: «إذا كانت باخرة ستحل مشكلة الكهرباء في الجنوب، فلتقم شركة كهرباء لبنان بتخصيص معمل الزهراني لتغذية الجنوب، وهو يفيض عن حاجة الجنوب لكونه 450 ميغاواط، عندها ينعم أهلنا في الجنوب 24/24 بالكهرباء ويوزع باقي الإنتاج على المناطق اللبنانية الأخرى، ولا حاجة للباخرة في الزهراني»!

اعتصام للحركة

لم ينته الموضوع بعد. حالة الغضب لا تزال على حالها، ومن يُحمّل المسؤولية هو حركة أمل أولاً، وصمت نواب حزب الله ووزرائه ثانياً. ولأن الحركة تصرّ على اعتبار إبعاد الباخرة عن الزهراني «تهمة لا ننكرها وشرف ندعيه»، فقد قررت الاستمرار في حملة الدفاع عن موقفها، عبر الدعوة إلى وقفة احتجاجية أمام معمل الكهرباء في الزهراني، عند الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر اليوم، «تعبيراً عن الاستنكار والرفض للتعامل الجائر من كهرباء لبنان مع أهلنا في مناطق الجنوب وحرمانهم التغذية الكهربائية».

رسوّ الباخرة في أي منطقة لا يعني بالضرورة إمكانية حصولها على طاقة إضافية (هيثم الموسوي)

المعامل تنتج 14400 ميغاوات بـ 8 مليارات خلال 25 شهراً

لبنان يغرق بالعوامات ومصر تعوم بالكهرباء

بكلفة 8.1 مليارات دولار، وبتمويل خارج إطار الخزينة العامة، وبفترة لا تتجاوز 25 شهراً أنهت مصر إنشاء محطات توليد كهرباء بقدرة 14400 ميغاوات. أما في لبنان، فقد أقرّ مجلس الوزراء في عام 2010 خطّة محكمة تتضمن خفض العجز الكهربائي والمالي إلى الصفر خلال مدة أقصاها 5 سنوات و8 سنوات. تبين أن لبنان سيدفع 3.5 مليارات دولار على خيار استئجار الطاقة من مولدات عائمة، وأن الثابت الوحيد هو خيار الخصخصة!

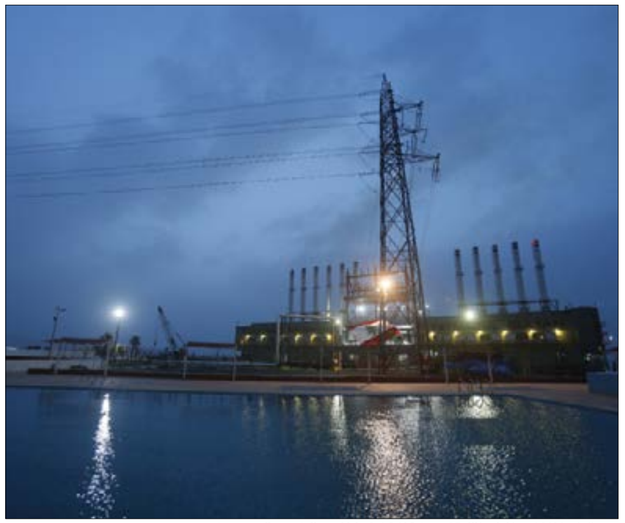

مصر أنجزت 14400 ميغاوات خلال 25 شهراً بكلفة 8.1 مليارات دولار (هيثم الموسوي)

محمد وهبة

في 19 حزيران الماضي، زارت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، لبنان، رافقها وفد ضم الرئيس التنفيذي لشركة «سيمنز» جو كايزر، على هامش لقائها برئيس الحكومة سعد الحريري، التقى الوفد الألماني المرافق مع وفد لبناني، من ضمنه وزير الطاقة سيزار أبي خليل. ينقل أحد الحاضرين أن كايزر عرض لأبي خليل إنجازات «سيمنز» في إنشاء معامل توليد الطاقة في مصر وليبيا والسودان وأفريقيا. حدّثه عن الكلفة المدنية التي لا تتجاوز 600 ألف يورو لكل ميغاوات، وسرعة التركيب التي لا تتجاوز 25 شهراً لمعامل عملاقة، وتوفير التمويل للدولة المصرية التي تعاني من صعوبات مالية واقتصادية كبيرة. رئيس «سيمنز» أنهى حديثه مع أبي خليل بإبداء الاستعداد لتقديم عرض مشابه للحكومة اللبنانية، بمرودة لافتة، ردّ أبي خليل. تحدّث من جهة عمّا سمّاها «التعقيدات المحلية». ومن جهة ثانية عن «انعدام معرفة «سيمنز» بالبيئة اللبنانية». ملامح كايزر تبدّلت. لم يتوقع رداً بارداً ومنفّراً كهذا. كان رجل الأعمال الألماني فقط يروّج لعرض تجاري. هي مجرّد صفقة محتملة واحتمال الرفض موجود دائماً. لكن في العادة، يكون الرفض بمبرّرات تقنية ومالية وحتى سياسية وليس «بلدية»!

بعد أربعة أسابيع على مغادرة ميركل لبنان، افتتح الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي أربع محطات عملاقة لتوليد الكهرباء من صنع «سيمنز» وتركيبها، بشراكة مع شركة السويدي إلكتريك وأوراسكوم للإنشاءات. وبحسب بيان صادر عن «سيمنز» في 24 تموز الماضي، تبلغ قدرة هذه المحطات 14400 ميغاوات، أُنجزت خلال 27,5 شهراً. تعمل هذه المحطات على الغيول أويل الخفيف وعلى الغاز. كلفة المشروع بلغت 7 مليارات يورو (8,16 مليارات دولار). أي إن معدل كلفة الميغاوات الواحد أقل من 570 ألف دولار. وبحسب مصادر مطلعة، وفّرت «سيمنز» وحلفاؤها جزءاً كبيراً من تمويل المشروع للدولة المصرية عبر قروض من البنك الدولي والاتحاد الأوروبي ومجموعة «هيرميس».

تبيّن أيضاً أن ليبيا وقّعت في 2017 عقداً مع «سيمنز» لإنشاء محطتي كهرباء بطاقة 1440 ميغاواط بقيمة 700 مليون يورو (نحو 830 مليون دولار). كذلك، وقّع السودان في كانون الأول 2016، مع الشركة نفسها، اتفاقية لإنشاء محطة كهرباء بطاقة 850 ميغاوات، وبدأ تشغيل المحطّة خلال سنة واحدة من تاريخ التوقيع.

المقارنة وحدها تقدّم الجواب

تكفي المقارنة بين ما قامت به مصر وليبيا والسودان، وما قام به لبنان، للاستنتاج أن أمراً مريباً ومشبوهاً يحصل. ففي عام 2010 أقرّت الحكومة خطّة محكمة للقضاء على التقنين خلال 5 سنوات. قضت الخطة برفع القدرات الإنتاجية للكهرباء في لبنان من نحو 1600 ميغاوات إلى 4000 ميغاوات في نهاية 2014، وأكثر من 5000 ميغاوات ما بعد 2015 بكلفة إجمالية قدرت يومها بنحو 4,8 مليارات دولار، ما يجنّب لبنان ارتفاع الخسائر الناجمة عن العجز الكهربائي إلى 9,5 مليارات دولار في عام 2015.

الخطة تضمنت اللجوء إلى استجرار الطاقة من مولدات عائمة على المياه (بواخر الكهرباء)، بكلفة 5,85 سنت لكل كيلوات ساعة وبقدرة تبلغ 270 ميغاوات. الهدف من هذه المولدات أن تكون بديلاً على مدى زمني متوسط يراوح بين 3 سنوات و4 سنوات لتأمين الكهرباء للمشتركين، ريثما ينتهي إنشاء معامل جديدة بقدرة 700 ميغاوات وبكلفة مقدرة بنحو 875 مليون دولار (1,250 مليون دولار لكل ميغاوات)، وإنجاز أعمال التأهيل والصيانة في معامل الذوق والجيّة ودير عمار والزهراني وبعلبك وصور بكلفة 400 مليون دولار، وإنشاء معامل كهرباء عبر القطاع الخاص (خصخصة) بقدرة 1500 ميغاوات وبكلفة 1,5 مليار دولار (مليون دولار لكل ميغاوات)، وزيادة القدرات الإنتاجية من مصادر متفرقة مثل الهواء والماء والنفايات بقدرة 165 ميغاوات وبكلفة 450 مليون دولار.

بدأ تنفيذ الشق المؤقت من الخطة، أي شراء الطاقة من المولدات العائمة على مدى ثلاث سنوات. ووصلت أولى البواخر في نيسان 2013 «قاطعة غول»، ثم تلتها «أورهان بيه». بلغت كلفة هذا الخيار الذي يتضمن تشغيل البواخر وثمن الفيول، 522 مليون دولار في عام 2014، ثم تراكمت لتبلغ خلال ثلاث سنوات ما مجموعه 1,5 مليار دولار. في هذا الوقت، لم ينجز البديل الثابت أو الدائم. عندها، مُدّد للبواخر بقرار إداري لم يعرض على مجلس الوزراء، لسنتين إضافيتين. وجرى توسيع العقد معهما لاستجرار 100 ميغاوات إضافية بكلفة إجمالية بلغت 900 مليون دولار. مرّت السنتان على الحال نفسه، وانتهى الأمر بعرض الملف على مجلس الوزراء وصدور قرار بالتمديد للبواخر لثلاث سنوات إضافية وخفض سعر الكيلوات بنسبة 16% واستقدام باخرة إضافية بقدرة 200 ميغاوات حدّ أدنى بكلفة إجمالية تبلغ 1,160 مليون دولار.

الخيار المؤقت امتدّ من ثلاث سنوات إلى خمس سنوات فعلية، ثم جرى توسيعه وتمديده مجدداً حتى عام 2021، أي ما مجموعه ثماني سنوات. كلفة هذا الخيار الإجمالية ستبلغ في نهاية 2021، قياساً على أسعار النفط الحالية، نحو 3,5 مليارات دولار. وقد مضى على وجود المولدات العائمة في لبنان، نحو خمس سنوات، أي سُدّد فعلياً نحو 2,3 مليار دولار. خلال هذه الفترة، كان الاستثمار شبه الوحيد في القدرة الإنتاجية، تلك المولدات الجديدة في الذوق والجية بقدرة 270 ميغاوات. باقي المشاريع الإستثمارية في القدرات الإنتاجية أُجهضت. تلزيم مشروع دير عمار 2 لزيادة 500 ميغاوات وُقّع سريعاً بعدما تبيّن أن العقد مع المتعهد لم يتضمن بنداً واضحاً ينصّ على أن ضريبة القيمة المضافة البالغة 50 مليون دولار هي على عاتق المتعهد. أما أعمال الصيانة، فهي أيضاً أحبطت بعدما تبيّن أن تأهيل معمل الجيّة لم يعد مجدياً، وأن كلفة تأهيل معمل الذوق باتت شبه مساوية لإنشاء معمل جديد... ما عدا المشاكل في شبكات النقل والتوزيع وإدارة التحصيل والصيانة مع عقود مقدمي الخدمات.

العجز الفعلي يبلغ 1770 ميغاوات

المشكلة الأساسية والكلفة الأكبر تكمن في القدرة الإنتاجية. نسبة الاعتماد على البواخر في السنوات الثلاث الأولى 18,5% من القدرة الإنتاجية الإجمالية في لبنان، ثم ارتفعت بعد تمديد العقد سنتين وتوسيع الاستجرار من البواخر بنحو 100 ميغاوات إضافية إلى 27,5%، وهي سترتفع مجدداً مع وجود باخرة ثالثة إلى 35%.

هكذا صار لبنان رهينة الاعتماد على استجرار الطاقة من المولدات العائمة. القدرة الإنتاجية الإجمالية (معامل لبنانية واستجرار من سوريا) تبلغ اليوم 1630 ميغاوات يضاف إليها الطاقة المستجرة من البواخر بقدرة 570 ميغاوات لتصبح القدرة القصوى الإجمالية 2200 ميغاوات. أما الطلب الإجمالي الأقصى في أوقات الذروة، فيبلغ 3400 ميغاوات، ما يعني أن العجز يبلغ 1200 ميغاوات (نحو 6 ساعات تقنين يومياً كمعدل وسطي). وإذا استثنينا وجود البواخر ضمن منظومة الإنتاج، فإن العجز الفعلي يبلغ 1770 ميغاوات، أي أكثر من 13 ساعة تقنين يومياً كمعدل وسطي وقت الذروة في كل المناطق.

قد تكون السنوات الثماني كافية للفصل بين الرمادية والسوداوية. بدا، خلال هذه الفترة، أن إنشاء معمل واحد بقدرة 500 ميغاوات، أمر شبه مستحيل. يثير هذا الأمر السخرية. نحتاج إلى إنشاء معامل بقدرة 1770 ميغاوات، أي أقل بـ 12 مرّة مما أنجز في مصر خلال 27 شهراً. لو استثمرنا ما دفع على الخيار المؤقت خلال السنوات الخمس الماضية، أي ما قيمته 2,3 مليار دولار، لكان لبنان يملك اليوم معملاً بقدرة إنتاجية تبلغ 4000 ميغاوات بالأسعار الحالية التي تعد أرخص بأكثر من 40% مما كان مطروحاً في خطة الكهرباء.

فخاخ وألغام

خيار الاستثمار من قبل الدولة في تنفيذ معامل مستدامة، يكاد يصبح مستحيلاً فقط في لبنان. التنفيذ في غالبية الأحيان يكون خارج الأصول، ودفتر الشروط تكون فيه بنود مطاطة وتفسح المجال أمام الاستنسابية، أما العقود، فهي ملغومة أيضاً. كذلك، ليست هناك صورة واضحة عن التمويل، وهناك مشكلة تتعلق بالأراضي اللازمة للمعمل، وهناك مشكلة تتعلق بتوفير الوقود ونوعه... هناك الكثير من العقبات والفساد الذي يأخذ طابعاً سياسياً قبل أن يتحوّل إلى مادة للسجال بين الزعماء. النقطتان الوحيدتان اللتان تستحوذان على شبه إجماع سياسي، هي خصخصة الكهرباء، ورفع التعرفة. المثير في الأمر أن هاتين النقطتين، بالنسبة إلى السياسيين، هما المدخل الأساس للانتفاع المباشر وغير المباشر.

في المقابل، لم تضطر الحكومة المصرية إلى خصخصة قطاع الكهرباء (سواء عبر البيع المباشر أو الشراكة مع القطاع الخاص) كما هو مطروح في لبنان. أيضاً لم تضطر إلى استئجار مولدات عائمة، بل اتخذت قراراً ومضت فيه مسجّلة سرعة قياسية في التلزيم والتنفيذ. أكثر من ذلك، بات لدى الدولة المصرية فائض يمكن تصديره. يتردّد أن الاتحاد الأوروبي يتفاوض مع الحكومة المصرية لمدّ خطوط نقل عبر البحر المتوسط من الإسكندرية إلى اليونان وقبرص لتصدير 1000 ميغاوات لكل واحد من البلدين. يتردّد أيضاً أن مصر تتفاوض مع الأردن لتصدير قسم من الفائض عبر شبكة الربط بينهما بعد تحديثها ورفع قدرتها التقنية.

هناك الكثير من الكلام عمّا ستفعله مصر، مقابل طروحات الخصخصة في لبنان التي يروّج لها تحت وطأة استفحال أزمة والتقنين وزيادة الاعتماد على المولدات الخاصة، سواء

> **الكلفة المدفوعة للطاقة من المعامل العائمة تبلغ 2,3 مليار دولار، وستتجاوز 3,5 مليارات دولار**

كانت بواخر أو مولدات الأحياء أو مولدات كبار المحتكرين في المناطق. أبرز مثال على ذلك، معمل دير عمار 2 الذي تحوّل تلزيمه من متعهد يطالب بأموال مقابل التزامات لم ينفّذ منها شيء، إلى عقد خصخصة (BOT) يمتدّ على عشرين سنة. وهناك أيضاً تلزيمات الطاقة الهوائية للقطاع الخاص وسواها، فضلاً عن عقود الشراكة مع القطاع الخاص التي التزمها لبنان في مؤتمر باريس 4.

في لبنان، دائماً هناك شكل نمطي لأي قضية: هناك السلطة التي تعلم والباقي «جهلة». ظهر هذا الأمر في حديث الرئيس التنفيذي لشركة «سيمنز» وسيزار أبي خليل. تكرّر الأمر في الزيارة التي قام بها الوزير جبران باسيل يرافقه وزير الطاقة سيزار أبي خليل للمجلس الاقتصادي الاجتماعي. بومها طرح عضو المجلس صلاح عسيران أن تتفاوض الحكومة اللبنانية مع الجانب المصري للاستفادة من استغلال فائض الكهرباء لديها والمفاوضات مع الاتحاد الأوروبي لمدّ كابل طاقة إلى قبرص واليونان. يمكن أن يكون للكابل تفريعة تصبّ في لبنان. ردّ أبي خليل سريعاً: أخذنا خيارنا بالاعتماد على البواخر! على طريقته مع كايزر، أنهى أبي خليل النقاش في المجلس الاقتصادي الاجتماعي. مرّ الأمر ببساطة رغم وجود ممثلي كل الأحزاب اللبنانية في المجلس.

قضية اليوم

عواصم عربية تحرّض الحريري ضد عون

أثارت تصريحات الرئيس ميشال عون المنشورة في «الأخبار» أمس، اهتمام جهات محلية وخارجية، خصوصاً لناحية تفاؤله بقرب تشكيل الحكومة. وحصلت مراجعات مع مقرّبين من القصر الجمهوري، ليتبيّن أن التفاؤل غير واقعي على الاطلاق، وأن الرئيس عون لا يريد ان يتم تحميله مسؤولية عرقلة تشكيل الحكومة. وذكرت مصادر دبلوماسية ان المشكلات تنوعت بين صراع خفي على الصلاحيات وصراع على حصة «القوات اللبنانية» الوزارية. وقالت المصادر إن الرئيس المكلف سعد الحريري صارح الرئيس عون بأنه لا يمكنه السير في حكومة لا تلبي طلبات «القوات اللبنانية»، وان الحريري سمع جواباً مفاده أنه يجب أن يتحمل مسؤوليته، وأن يبادر الى طرح تشكيلة ويعرضها على المجلس النيابي لنيل الثقة. وقالت المصادر إن الرئيس عون شدد امام الحريري على عدم امكانية ربط حاجات ومصالح البلاد بمطلب قوة سياسية معينة، وإنه لا يمكن للبلاد الانتظار وقتاً طويلاً.

لكن الذي طرأ، أمس، هو الكشف عن شكوى الحريري من محاولات النيل من صلاحياته في عملية تشكيل الحكومة، وان الرئيس عون كما التيار الوطني الحر يحاولان فرض أعراف في سياق استعادة غير دستورية لصلاحيات رئيس الجمهورية، سواء لجهة احتكار مناصب مثل نائب رئيس الحكومة أو الحصول على ثلث المقاعد الوزارية من ضمن الحصة العونية. وعلمت «الأخبار» أن شكوى الحريري لاقت صدى في أوساط سياسية تنتمي الى الطائفة السنية، وهي التي قررت تجاوز ملاحظاتها على أداء الحريري، وتحركت للتضامن معه تحت عنوان حماية صلاحيات وموقع رئاسة الحكومة، ورفض العودة إلى ما قبل اتفاق الطائف. ومن ثم تبيّن أن هذه المجموعة تلقّت طلبات من السعودية والامارات ومصر بالوقوف الى جانب الحريري، قبل أن يتوجه سفراء الدول الثلاث الى إبلاغ الحريري مباشرة أنهم سيقفون الى جانبه لمنع إدخال أي تعديل على اتفاق الطائف، مع تشديد سعودي ـ إماراتي على عدم السير في حكومة لا تتمثل فيها القوات اللبنانية بحسب ما تريد، أو أن يجري العمل على محاصرة النائب وليد جنبلاط من خلال خروقات في التمثيل الدرزي. وقرأت المصادر هذه التحركات بأنها وسيلة جديدة لتأخير تشكيل الحكومة ومحاصرة الحريري بطلبات من شأنها تأخير التأليف. وردت المصادر الأمر الى أن الجهات الخارجية الداعمة لقوى 14 آذار تعتقد أن المناخ ليس مؤاتياً لإعادة تجديد التسوية التي رافقت انتخاب العماد عون رئيساً للجمهورية.

من جهة ثانية، علمت «الأخبار» أن الرئيس الحريري تبلغ من القوات اللبنانية عدم ممانعة رئيس الجمهورية والتيار الوطني الحر إسناد حقيبة سيادية للقوات من ضمن الحقائب الأربع التي يفترض أن تسند إليها، وأكد الحريري لمن راجعوه أن حقيبتي الداخلية والمالية محسومتان له وللرئيس نبيه بري، وبالتالي يصبح الأمر رهن تخلي التيار الوطني الحر عن إحدى حقيبتي الدفاع والخارجية.

وعلم أن الحريري تلقّى إشارة من التيار الوطني الحر بأنه لا يمانع في حصول القوات اللبنانية على حقيبة وزارة الخارجية!

(الأخبار)

تقرير

جنبلاط وسوريا: عنزة ولو طارت!

وفد ديني جنبلاطي للسفارات: نطلب حماية دولية للسويداء

يستمر رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، بتصعيده السياسي ضد سوريا، وهذه المرة من خلال استثمار الجرح النازف في السويداء. وقد كلّف قبل أيام وفداً من قضاة المذهب الدرزي زيارة سفارات الدول الكبرى في بيروت، وتسليمها مذكرة تحمّل الدولة السورية مسؤولية الاعتداء الإرهابي، وتطالب بحماية دولية لدروز السويداء

فراس الشوفي

لا تؤشّر حركة رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، عبر تحريضه أهالي السويداء من طائفة الموحدين الدروز للتمرّد على دولتهم، على أن الحرب السورية أضحت في خواتيمها. يتصرّف جنبلاط، منذ مدّة، وكأن التسوية الدولية في سوريا لا تزال بعيدة، وأنّ بالإمكان تغيير المعادلات، بمجرّد أن تقف جهة ما، «محليّة»، مهما علا شأنها، في وجه القطار الدولي والإقليمي. والحقيقة ليست كذلك طبعاً. فالدولة السورية والرئيس بشّار الأسد، فرضا بصمودهما على العالم انتهاء الحرب، بعد استنزاف الجميع، خصوصاً أولئك الذين وعدوا جنبلاط وحلفاءه من التنظيمات السورية المسلّحة بالتغيير، وأخلفوا. وها نحن نرى فصائل بقدّها وقديدها، مدجّجة بالسلاح، تهرع للاستسلام تحت غطاء المصالحات، والجيش السوري يعود للسيطرة على كامل الأرض السورية، ودولاً، مثل الأردن التي تلطّى جنبلاط خلفها لسنوات، تقف على أعتاب دمشق، لأجل أقل من مئة مليون دولار، كان يؤمّنها معبر نصيب الحدودي، قد تمنع اقتصاد المملكة من الانهيار، وخوفاً من انفلات أمني واسع تعكسه نهاية الحرب السورية على الشمال الأردني، بدل أن ينتهي به الحال كـ «طابخ السم... أكله».

لكنّ جنبلاط، الذي بات يتعامل منذ سنوات مع الحرب السورية من زاوية شخصية، اعتاد الرهانات الخاسرة، على الأقل منذ 2005 وحتى اليوم. وهو، مثل أي مقامر مسلوب الإرادة لـ«الكازينو السياسي»، ينتظر الخسارة المحتومة. كلّما طال وقت اللعبة، تقلّصت فرصه وارتفعت حظوظ صاحب الرأسمال الأكبر.

لم يعد خافياً، أن جنبلاط عقد مع السعوديين اتفاق «الشيطان» في زيارته الأخيرة للسعودية. يقول أكثر من سياسي لبناني إن السعوديين طلبوا من جنبلاط مواجهة حزب الله، فاعتذر، لعدم قدرته على ذلك، فاقترح أن يواجه الرئيس ميشال عون وسوريا، في مقابل عودة جزء من الدعم المالي السعودي إليه.

لا همّ على ما تقول مصادر دبلوماسية لـ«الأخبار» مطّلعة على الدور الروسي في التقارب السعودي ـ السوري، وتشير إلى أن السعوديين أنفسهم وضعوا خطّة لإعادة العلاقات مع الدولة السورية، مثلهم مثل العديد من الدول الأوروبية والعربية التي عاد بعضها فعلاً للتنسيق مع سوريا، تمتد إلى نحو سنتين. وخلال السنتين المقبلتين، قد يصبح جنبلاط وغيره من أدوات التصعيد، لزوم ما لا يلزم.

ومما لا ريب فيه أيضاً، أن جنبلاط، ينتعش في هذه الأيام على سياسات التيار الوطني الحرّ وسلوك بعض رموزه التحريضية، إضافة إلى سياسة التيار المدعومة من الرئيس ميشال عون في الساحة الدرزية. لكنّ هذه النتائج مرحلية أيضاً، ولكي لا ينسى أحد، فإن ما يطلق عليه «المجتمع المدني» في لبنان، نال أكثر من عشرة آلاف صوت في دائرة الشوف وعاليه، على رغم التحريض الطائفي، فكيف سيكون الحال في الانتخابات المقبلة؟

لكن الغطاء الذي يوفّره حزب الله تحديداً لوليد جنبلاط في الداخل اللبناني، بوصفه حارساً لتوازنات الطوائف، لا يمكن أن يمتدّ إلى سوريا، خصوصاً إذا كان جنبلاط، في حالة السويداء تحديداً، يعرض بضاعة في سوق لا زبائن لها، حتى إسرائيل، التي يبدو أنها انتظمت، بفعل الأمر الواقع، في صفوف التسوية الدولية والتسليم بعودة سوريا إلى سابق عهدها.

المهم الآن أن تصعيد جنبلاط ضد سوريا له أسبابه. فهو، بحسب المعلومات، استطلع قبل فترة إمكانية عودة علاقاته مع سوريا، أو على الأقل انتهاء حالة العداء معها. ليس حبّاً بسوريا طبعاً، بل طمعاً بعقود إعادة الإعمار والكنوز الموعودة ما بعد الحرب. غير أن المعلومات أيضاً، تؤكّد أن سوريا لن تهادن من وقف يوماً ما ضدّها خلال الحرب، وغمّس يديه بدم أبنائها وطالب بالتدخل الخارجي ضدّها، حتى أولئك الذي لم يعادوها وغابوا عنها، سينتظرون المدّة الزمنية ذاتها التي قاطعوا دمشق فيها، حتى تستقبلهم من جديد. وقد وصلت تلك الأجواء إلى جنبلاط، فأيقن أن الاعتراف بساعات التخلّي لم يعد يجدي نفعاً.

من هنا، يمكن فهم تصعيد جنبلاط، الذي وجد في الدم المسفوك في السويداء، شمّاعة ليعلّق عليها سنوات من الرهانات الخاطئة، محاولاً الدفع باتجاه «حماية دولية» للسويداء ليجد له دوراً أوسع من دوره الذي يتقلّص في لبنان، متناسياً أن آخر تجاربه مع دروز سوريا وتعهداته بالضمانات التركية لحمايتهم، انتهت بمجزرة في بلدة قلب لوزة في جبل السماق في ريف إدلب.

ولا يلام جنبلاط على خياراته المتهوّرة تلك، حين يكون في محيطٍ من المستشارين والأعوان، على النحو الموجود اليوم. فالمحيطون بوليد جنبلاط اليوم، ثلاثة أنواع من «السياسيين»: النوع الأول هو النوع المحترف، الذي يحاول تقديم آراء متباينة إلى حدّ ما، لكنّه لا يجد آذاناً صاغية وينتهي به الأمر بالزجر والنهي. النوع الثاني من المحترفين أيضاً، لكنّه يفضّل الصمت وإبداء الطاعة المطلقة. أما النوع الثالث، وهو الأكثر قدرة على التأثير اليوم، فهو من الصنف الحاقد الذي يقرأ الأمور بسطحيتها ويهزّ رأسه دائماً بالموافقة، فيدفع بجنبلاط أكثر نحو التهوّر. والصنف الأخير، هو الذي أدّى دوراً خلال الحرب السورية وأخفق، ونسج شبكة من العلاقات مع أجهزة الاستخبارات المعادية لسوريا، وهو المرشّح ليكون إلى جانب النائب تيمور جنبلاط في رحلته السياسية المقبلة، بالعقلية المسطّحة ذاتها، فنجد تيمور نسخة مصغّرة عن والده، يرث أزماته العابرة للسياسة. على عكس وليد جنبلاط القديم، الذي لبس عباءة والده في دمشق، عندما كان مقتنعاً بأن سوريا تقف خلف اغتيال والده الراحل كمال جنبلاط.

خلال الأيام الأخيرة، ذهب وليد جنبلاط بعيداً في الحرب على سوريا. فهو لم يكتفِ باستخدام الدروز اللبنانيين ضد سوريا في 2005، إلا أنه سخّر أخيراً مشيخة العقل والشيخ نعيم حسن، في سياق معركته الخاسرة. في الأسبوعين الأخيرين، طلب وليد جنبلاط من مشيخة العقل تشكيل وفد من قضاة المذهب الدرزي، ليجول على سفارات الدول الكبرى الأعضاء في مجلس الأمن الدولي في بيروت، وتسليمها «مذكّرة» تطالب بحماية دروز السويداء (حصلت «الأخبار» على نسخة منها). ويرد في المذكّرة حرفياً، مطلبان: «إطلاق جميع المخطوفين من النساء والفتيات والأطفال بالسرعة القصوى، والمحافظة على وجود أبناء طائفة الموحدين الدروز وخصوصيتهم ضمن انتمائهم العربي والوطني من كافة الأخطار التي قد يتعرّضون لها». غير أن الكلام المنمّق في الكتاب، تولّى الشيخان فيصل ناصر الدين (رئيس محكمة الاستئناف الدرزية العليا) والشيخ غاندي مكارم (قاضي المذهب في المتن الأعلى) اللذان ترأسا وفد القضاة شرحه للسفراء.

وبحسب المعلومات، أكد مكارم وناصر الدين أول من أمس أمام السفيرة الأميركية في بيروت إليزابيث ريتشارد، تحميل الدولة السورية مسؤولية هجوم «داعش» الإرهابي على السويداء، وطالبا بحماية دولية للمحافظة. فيما أكّدت مصادر أخرى أن الوفد التقى القائم بالأعمال الروسي في بيروت، بيتشلاف ماسودف قبل ثلاثة أيام، وسمعا منه رأياً روسياً مغايراً، يتوافق مع المعرفة الروسية لطبيعة الهجوم على السويداء وواقع المحافظة، والخطوات التي يُعدّها الجيش السوري للاقتصاص من الإرهابيين.

ومن المتوقّع أن يتابع الوفد جولته على سفارتي بريطانيا وفرنسا خلال الأيام المقبلة. وليس خافياً أن جنبلاط كان قد أوفد قبل يومين ابنه تيمور والنائب وائل أبو فاعور إلى موسكو (عادا ليل أمس إلى بيروت)، في محاولة لتوفير غطاء روسي لحركة جنبلاط، خصوصاً بعد الرسالة التي تلقّاها جنبلاط على لسان مبعوث الرئيس الروسي إلى سوريا ألكسندر لافرنتييف عن ضرورة حفاظ الأخير على «شعرة معاوية» مع روسيا، فضلاً عن تسويق فكرة الحماية الدولية، وأيضاً محاولة «تجنيد» الروس للعب دور جنبلاطي في تحرير المختطفين من أبناء السويداء لدى «داعش».

السعودية وضعت خطة لإعادة العلاقات مع سوريا تمتدّ لسنتين (مروان طحطح)

> **أيقن جنبلاط أن الاعتذار عن ساعات التخلي لم يعد يجدي نفعاً لإعادة علاقته مع سوريا**

بنك عوده ينقل حياة الجيش... بصور

في مناسبة عيد الجيش اللبناني الـ ٧٣ وبالتعاون معه ومع المصوّر البريطاني المحترف Jeremy Chivers أطلق بنك عوده كتاب "The Heart of the Nation" الذي يتضمّن صوراً منوّعة عن الحياة العسكريّة اليوميّة لجنود الجيش، والتي تشمل التدريبات والمناورات وغيرها وذلك في فيلّا عوده وبحضور قائد الجيش، العماد جوزاف عون، و ئيس مجلس إدارة والمدير العام التنفيذي لبنك عوده سمير حنّا، والمدير العام للبنان - بنك عوده ش م ل مارك عوده، وضبّاط من الجيش وباقي الأجهزة الأمنية، وأعضاء من إدارة بنك عوده.

عون رأى أن «الكتاب يؤرّخ، بواسطة صور رائعة، حياة العسكريين اليوميّة، ويظهر قدرات الجنود وكفاءتهم ومستوى تدريبهم وكيفيّة تنفيذ مهمّاتهم بحرفيّة عالية»، فيما صرّح رئيس مجلس إدارة والمدير العام التنفيذي لبنك عوده أنه و«من خلال هذا الفنّ العصري بامتياز الذي هو فنّ التصوير الفوتوغرافي، الآن لحظات معيّنة من زمننا المعاصر، أوجّه تحيّة إكبار وتقدير إلى كلّ جنديّ من جنود لبنان الأمس، واليوم والغد».

من جهته قال المصوّر البريطاني Chivers إن «أكثريّة اللبنانيّين ليسوا محظوظين مثلي إذ لا تتسنّى لهم فرصة الخروج إلى الميدان ومشاهدة ما يفعله الجيش اللبناني يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، للحفاظ على الجمهوريّة وعلى الدستور». كما ذهبت أفكاره إلى قدامى العسكريّين وشهداء الجيش، وإلى عائلاتهم التي سيعود ريع الكتاب إليهم.

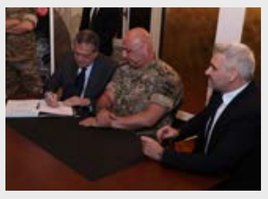

يذكر أن الكتاب يُباع عبر الإنترنت وفي عدد من مكتبات لبنان.

تقرير

مطار بيروت بلا تبريد!

ماذا يجري في مطار بيروت الدولي. ومن المسؤول. من رئيس الحكومة إلى وزراء الأشغال والسياحة والمال ومديرية الطيران المدني ورئاسة المطار وحتى الميدل إيست؟

منذ فترة تتزايد الشكوى من قدرة أجهزة التكييف في صالات المغادرين والقادمين في المطار، إلى أن وقعت الواقعة، أمس، وفي عزّ موسم الاصطياف، لا بل موسم الذروة، حيث قدّرت دوائر المطار الأمنية عدد الركاب بين الذهاب والإياب بنحو أربعين ألف راكب يومياً، وهذا الرقم قابل للارتفاع من الآن وحتى العاشر من أيلول المقبل.

وفي التفاصيل، تعطلت بعد ظهر أمس، بصورة شبه كاملة في صالات وممرات الوصول أجهزة التبريد، بسبب عدم قدرة الماكينات والتمديدات على استيعاب حرارة الطقس التي لامست حدود الـ 35 درجة، وشملت الأعطال في التبريد معظم الجناح الشرقي (من إلى 11) وتراجعت قدرتها أيضاً في الجناح الغربي. وشملت الأعطال خصوصاً الأروقة المخصصة لعبور المسافرين بين أبواب الطائرات وبهو المطار الداخلي الذي يؤدي إلى نقطة الأمن العام.

وقال أحد المهندسين في المطار لـ «الأخبار» إن الماكينات التي تتولى التبريد فُحِصت، وتبين أنها تعمل بكامل طاقتها، لكنّ العطل الأساسي هو في التمديدات المتهالكة التي صار عمرها 22 سنة، علماً بأنه منذ 3 سنوات، «أعددنا تقارير رسمية عن احتياجات المطار، ولا سيما موضوع التمديدات، وما زلنا حتى اليوم ننتظر من يفرج عن الاعتمادات، خصوصاً أن الخرائط موجودة في دار الهندسة ولا نحتاج إلا إلى كبسة زرّ».

العطل غير المفاجئ والمرشّح لأن يتكرر يومياً، فاقمه، أمس، إقدام العاملين في شركة نقل الحقائب على فتح كل الأبواب من أجل التسريع بنقل الحقائب، ما أدى إلى زيادة الضغط على ماكينات التبريد والتمديدات التي أصاب الصدأ معظمها، فكان أن تعطلت، قبل أن يصدر قرار عن رئاسة المطار بإقفال هذه الممرات والبوابات التي سبّبت دخول تيارات هوائية ساخنة إلى بهو المطار من جهة الوصول.

وترافق ذلك مع تلقي المسؤولين في المطار رسائل تنبيه من الأجهزة الأمنية المعنية وشركات الطيران ووكالات السفر والسوق الحرة والمطاعم، بعد أن مرّ 20 تموز المنصرم، بوجوب اتخاذ إجراءات، بينها تغيير التمديدات وزيادة أعداد ماكينات التبريد، لكن أحداً لم يتعامل مع الأمر بمسؤولية حقيقية، إذ جرى ترقيع الوضع. حتى إن بعض الموظفين في السوق الحرة وشركات الطيران اضطروا إلى التخفيف من لباسهم الرسمي لمواجهة درجة الحرارة التي تجاوزت الثلاثين درجة في أيام عدة هذا الموسم، واستُدعي الدفاع المدني لمعالجة حالتي إغماء على الأقل بسبب الزحام وارتفاع درجات الحرارة. كذلك بادرت بعض الشركات (أطعمة وحلويات وعصائر) إلى نقل بضائعها إلى المستودعات المبردة بعدما كثرت شكاوى الزبائن.

وقال ممثل لشركة تبيع الحلويات والمأكولات إن أعماله تعرضت لضرر كبير، وإن بعض الزبائن أصروا على إعادة البضائع بسبب التلف الذي أصابها جراء وقف التبريد في جناح الشركة في السوق الحرة في المطار.

وقال عاملون في المطار لـ «الأخبار»، أمس، إنه كان اليوم الأسوأ، خصوصاً لجهة الوصول، وبالطبع يستثنى من ذلك صالة الدرجة الأولى وصالون الشرف اللذان لم يتأثرا بالأعطال، ما جعل المسؤولين لا يشعرون بالكارثة القائمة في عزّ الموسم السياحي.

وقال أحد القيّمين على المطار لـ«الأخبار»، أمس، إن ثلاثة اجتماعات «عُقدت منذ سنة حتى الآن، ووُضعت خلالها لائحة

> **حمامات المطار باتت «جرصة حقيقية»، والأجهزة الصوتية، مهددة بالتوقف نهائياً**

بالأجهزة الطارئة التي لا بد من توفيرها على وجه السرعة قبل أن تقع فضيحة في المطار، ومنها شبكة تمديدات التبريد والتدفئة، والأهم جهاز الـ convey bags، أي ناقل الحقائب الذي يصاب باعطال يومياً، ولا نعرف متى يتوقف نهائياً، فتكون فضيحة لا مثيل لها»، ويشير إلى أن حمامات المطار باتت «جرصة حقيقية»، و«قد قلنا لهم إن الأجهزة الصوتية مهددة بالتوقف نهائياً، ولم يبالِ أحد، وطلبنا أيضاً شراء جسور جديدة (مخصصة لعبور الركاب من الطائرة إلى المطار)، ولم يبالِ أحد بالأمر، علماً أن هذه الجسور باتت متهالكة بشهادة الجميع».

لا يقتصر الأمر على هذه الشوائب، بل ثمة شكوى أيضاً من عدم صرف اعتمادات لتجهيزات أمنية حساسة، بينها كاميرات المطار، حيث تبين «أنها تنتظر قرار ديوان المحاسبة بالإفراج عنها»، على حدّ تعبير أحد القيّمين على المطار، ويختم بالقول: «كل المسؤولين يعلمون أن مطار بيروت من سيئ إلى أسوأ، ولا أحد يتحمل المسؤولية منهم من دون استثناء، والأنكى من ذلك فضيحة مكبّ النفايات في الكوستابرافا، الذي صار هناك تقرير عند المسؤولين عن تداعياته المستقبلية على المطار والطيران».

(الأخبار)

ناقل الحقائب يصاب باعطال يومياً، «ولا نعرف متى يتوقف نهائياً. فتكون فضيحة لا مثيل لها»

12 عاماً على عدوان تموز: من الصمود إلى الردع

على مدى أشهر، عاين الشهيد القائد خالد بزي (الحاج قاسم) مسرح عملية الأسر قبل تنفيذها، اقترب خلالها عدة مرات من السياج التقني من مسافة صفر، ليحدد مكان الخرق بالتحديد وكيفية عبور المقاومين بعد تفجيره. وعلى مدى أشهر أيضاً، استمرت المناورات التدريبية في بيئة تحاكي بنحو دقيق مكان تنفيذها، بإشراف القائد العسكري الحاج عماد مغنية. بعدها، بقي المجاهدون عدة أسابيع ينتشرون في نقاط حددتها قيادة العملية مسبقاً في خلة وردة، في خراج بلدة عيتا الشعب، بانتظار تقدم الهدف إلى نقطة الكمين المحددة

«الأخبار» تنشر تفاصيل جديدة عن عملية الأسر

6 دقائق... غيّرت وجه لبنان والمنطقة

هادي أحمد ـ خديجة شكر

لم تكن الدقائق ثقيلة الوطء على المقاومين وهم ينتظرون أن تأتي الدوريات الإسرائيلية إلى نقطة المكمن. صبروا أشهراً طويلة، وجاء ثمر صبرهم في 12 تموز 2006.

«صباح الخير. دورية أخيرة. أتمنى للجميع الفرح»؛ الساعة 8,45 صباح ذلك اليوم. كان هذا أول نداء يوجهه قائد الدورية الإسرائيلية «إيهود غولد فاسر» ليتأكد من اتصاله بالمركبة التي تسير خلفه. سارت المركبتان «يسيمون 4» و«يسيمون 4 أ» التابعتان للدورية الحدودية الخاصة بمسح الأثر وتفقد السلك على الطريق الحدودية. لاح لمجموعات الرصد في المقاومة تقدم القوة العسكرية الإسرائيلية على الطريق الداخلي الرابط بين مستعمرتي «زرعيت» و«شتولا»، باتجاه الترقيم الحدودي «نقطة 105».

في المقابل، عند الساعة 8,55، رصدت وحدة المراقبة التابعة للجيش الإسرائيلي في منطقة «زرعيت» عنصراً مسلحاً من حزب الله يحمل صاروخاً مضاداً للدروع، وهو على مسافة لا تبعد كثيراً عن موقع الوحدة. لم يجرِ التعامل معه، ولا حتى الإبلاغ عنه.

الساعة 8,57، أعاد «إيهود غولد فاسر» التواصل مع المركبة خلفه. كان هذا آخر تواصل بين المركبتين. ببطء، تقدم جنود الاحتلال على الطريق الوعرة المؤدية إلى نقطة خلة وردة، وهي مبتة عسكرياً لوقوعها في أرض منخفضة، ولأنها كذلك لم تكن خاضعة لوسائل المراقبة الإسرائيلية. كل هذا كان تحت أنظار غرفة عمليات المقاومة ومسامعها، التي أبلغت القيادة في الغرفة المركزية الخاصة بمتابعة الموضوع، بما يحصل على الأرض.

بدوره، أوعز الحاج قاسم (خالد يزي) إلى جميع المقاومين بجاهزية التنفيذ، وتجهيز العبوات لخرق السلك. أمسك بمنظاره ليحدد سرعة آليات الهامر الإسرائيلية القادمة. ثم حمل بندقيته واقترب إلى حافة الخلة مقابل مكان الخرق ليدير العملية من هناك.

بلال عدشيت في خلة وردة

حصلت المواكبة لحظة بلحظة، في انتظار مجيء الهدف. وُضعت جميع الوحدات في حالة الاستنفار القصوى. وعلى رأسها الشهيد علي صالح (بلال عدشيت/استشهد في حرب تموز 2006). ذُخّر الأخير مدفع الـ «B9» بقذيفة ضد الدروع. السلاح الذي كان قد اختير بالتحديد لتميزه بسرعة وصول قذيفته من القاذف نحو الهدف (800 متر/ ثانية)، وهو ما يساعد على تكريس عامل المفاجأة. أما قذيفته، فاختيرت لأنها تُخفف من احتمالية قتل الجنود، عكس العبوة التي استخدمت في عملية الأسر في شيعا في عام 2000. وهذا ما كان قد لفت إليه الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله بعد تبادل الأسرى عام 2004، بالقول إن العملية المقبلة يراد بها «الحصول على أسرى أحياء».

> **تهاوى جبروت المدرّعات الإسرائيلي حين ارتفع برج الدبابة في الهواء وغرقت بعدها في الأرض، على مرأى من قادة الكيان**

> **أبلغ السيد نصر الله أن العملية جرت بنجاح، دون وقوع شهداء أو جرحى للمقاومة؛ وعن الأسرى: «جنديان غائبان عن الوعي»**

اختيار بلال عدشيت استند إلى تجربة عميقة له في المقاومة، فهو من أمهر رماة الصواريخ الموجهة والقذائف وأدقّهم. قبل التحرير في عام 2000، أوكلت إليه في عملية «العرّية» مهمة إدخال صاروخ موجّه من «طلاقة» دشمة الحرس. يومها، انتشرت بكثرة صورة الجندي الإسرائيلي المقتول داخلها، من دون أن يعرف أحد صاحب هذه الرمية.

هنا بلال عدشيت مرة أخرى. في عملية الأسر، أوكل إليه استهداف المركبة الأولى ـ التي سيُخرج منها الأسرى ـ بشكل نقطوي ومحدد، ليجري إعطابها، وبالتالي توقفها عن العمل من دون أن تنفجر. وصلت الدورية إلى نقطة المكمن. رفع الحاج قاسم سريعاً سماعة الهاتف، إذ لم يكن لدى المجاهدين المتمركزين في نقطة خلة وردة، في خراج بلدة عيتا الشعب، أي استخدام لأيّ جهاز لا سلكي، بل أوصلت هواتف الشبكة الداخلية على كل نقطة من النقاط التي توزعت عليها المجموعات العسكرية. جاء صوته حازماً: «انقضّوا على الدورية».

بنداء «يا رسول الله»

وجه بلال سلاحه بدقة إلى الزاوية التي من المتوقع أن تخفّف المركبة سيرها لحظة وصولها إليها. انتظرها، وفي الساعة 9,01 تماماً، أطلق القذيفة بنداء «يا رسول الله»، معلناً بدء عملية «الوعد الصادق». أصاب الهامر مباشرةً، ثم لحقه مجاهد آخر برميها بثلاث قذائف «بـ 7»، محققين إصابات موضعية أدت إلى إيقاف الهامر، حسب الخطة المقررة.

عملت الرشاشات الثقيلة من الفرقة الموكل إليها التأمين القريب بقيادة بلال خير الدين (أبو جعفر/ استشهد في القريتين في سوريا) على تكثيف النيران باتجاه مركبة الهامر الخلفية، كذلك أصابت القذائف المضادة للدبابات هذه المركبة إصابة قاتلة ودقيقة. قتل سائقها سريعاً، قفز جنديان محاولين الهرب، فرُميا بالرشاشات، ليسقطا أرضاً.

عندها، أوعز الحاج قاسم إلى مجموعة الهندسة بتفجير السلك التقني وفتح الثغرة بعبوة خاصة ليعبروا منها إلى الأراضي المحتلة.

«الأمانة صارت عنا»

وصلت مجموعة الانقضاض إلى الهامر الأول الذي كان قد بقي فيه الجنديان إيهود غولد فاسر وإلداد ريفيف. سحبهما المجاهدون. حملوهما من أكتافهما من جهة، ومن أقدامهما من جهة أخرى. ركضوا بهما نحو السياج، وبقي مجاهد آخير، وضع عبوة داخل الهامر، ثم فجرها بصاعق زمني لمسح أي دليل قد يساعد العدو في كشف ما حصل أو معرفة مصير الأسرى.

جرى الانسحاب سريعاً. توجه المقاومون نحو السياج، وخرجوا باتجاه السيارة التي تنتظرهم. في غضون دقائق، اختفوا من الوجود تماماً. حصل كل ذلك تحت إسناد قوات الانقضاض بقيادة محمد عسيلي (ذو الفقار. استشهد في معركة مارون الراس في تموز 2006).

الساعة 9,06، رفع الحاج قاسم السماعة مرةً أخرى. هذه المرة اتصل بغرفة القيادة: «بلغ صاحبنا، الأمانة صارت عنا». أبلغ الأمين العام السيد حسن نصر الله أن العملية جرت بنجاح، دون وقوع شهداء أو جرحى للمقاومة؛ وعن الأسرى: «جنديان غائبان عن الوعي».

انتقلت غرفة العمليات المركزية للمقاومة إلى غرفة متابعة الحوادث الطارئة التي كانت مشخصة مسبقاً. استدعي المعنيون جميعاً، وقُسم العمل إلى ثلاثة أقسام: قسم لمتابعة العملية، قسم لمتابعة ردود فعل العدو، وقسم للاستنفار والجاهزية. ارتأى السيد نصر الله أن لا داعي لاستنفار علني لجميع الوحدات العسكرية، بل فقط للفريق المعني بالمتابعة.

في هذا الوقت، كانت قد هدأت النيران في منطقة خلة وردة على أرض العملية. لكن العمليات تواصلت؛ فتحت مجموعة إسناد القوات المتقدمة النيران على امتداد عرض خط الحدود، بقذائف الهاون وقذائف المدفعية لإلهاء العدو بالنيران.

وفي محيط موقع راميا المشرف على الخلة، كان إبراهيم الحاج (أبو محمد سلمان/ استُشهد في العراق) يؤمّن من بعيد عملية الأسر، لمنع أي قوة مساندة للعدو من التقدم إلى هناك، وتعطيل أي مجموعة إسرائيلية تسعى إلى الالتحاق بالجنود وقطع طريق الإمداد عليها.

برج الدبابة يتهاوى

في الجهة المقابلة، كان مسؤول السرية الإسرائيلية قد رفع تقريراً إلى قيادة الكتيبة أنه سمع نداء «تعرضنا لهجوم» من الجندي الذي هرب. عبثاً حاولوا إيجاد اتصال بالدورية.

الساعة 9,27، أي بعد 26 دقيقة، بعث قائد الكتيبة ببلاغ «هنيبعل» إلى قيادة الفرقة لإطلاق وابل من الرصاص الكثيف في محيط المنطقة ودائرتها، التي يشتبه في أنه فيها جرت عملية الأسر، ومنع القوة المعادية من التحرك بعيداً عن منطقة الاشتباك، والتمكن من إخفاء الأسرى وتأمينهم. أخذ الإسرائيلي قرار الدخول والسعي وراء الخاطفين في منطقة عيتا الشعب.

أرسل دبابة إلى موقع «قبة العلم»، تحركت الدبابة على مسار جانبي خوفاً من المرور فوق الغام يمكن أن تكون قد زرعتها المقاومة في مكان العملية.

احتاط الإسرائيليون، لكن قيادة المقاومة حسبت هذه الخطوات بحذافيرها. وضع المقاومون عبوة في المكان الذي افترضوا فيه أنه إذا قرر الإسرائيلي ملاحقتهم، فسوف يمرّ بمسار مختلف. بناءً عليه، كانت مجموعات من المقاومة قد زرعت، بالتخفي، عبوةً تحت أعين الكاميرات الإسرائيلية. تقدير مسبق تبين نجاحه سريعاً.

الساعة 11:00، كانت غرفة قيادة الأركان في تل أبيب تضج بحضور وزير الدفاع عمير بيرتس ورئيس الوزراء إيهود أولمرت، وقادة الأذرع العسكرية، لمتابعة مجريات تطور العملية في بثّ مباشر على الشاشات أمامهم.

انطلقت دبابة ميركافا 4 إلى داخل الحدود اللبنانية، في طريقها نحو هضبة تُشرف على طريق يُحتمل حسب تقديرهم أن يستخدمه مقاتلو «حزب الله» للانسحاب. تقدمت 5 أمتار، وانفجرت بها عبوة ناسفة.

تهاوى جبروت المدرعات الإسرائيلي، حين ارتفع برج الدبابة في الهواء وغرق جسمها في الأرض، على مرأى من قادة الكيان. وفي الوقت الذي كان الإسرائيلي لا يزال تحت تأثير صدمة الميركافا 4، كانت المقاومة قد أخلت الأسرى بنقلهم من موقع إلى آخر. الأسيران كانا بوضع ميؤوس منه، ولم تفلح محاولات مجاهدي الإسعاف الحربي في إعادة الحياة إليهما.

8 قتلى وأسيران و4 بنادق، كانت تلك الحصيلة التي أقرّ بها العدو نتيجةً لعملية «الوعد الصادق». عملية لم تتجاوز مدتها 6 دقائق. 6 دقائق غيّرت مسار منطقة، لا بل أسقطت مخطط «الشرق الأوسط الجديد».

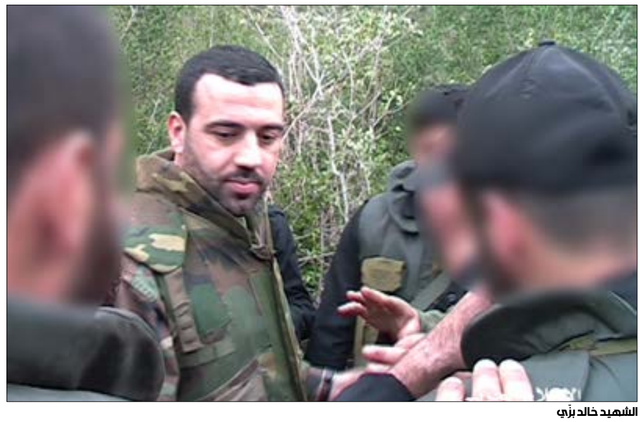

الشهيد خالد يزي

الشهيد علي صالح

الشهيد بلال خير الدين

الشهيد إبراهيم الحاج

الشهيد حمزة حيدر

الشهيد عباس كورانيي

الشهيد محمد عسيلي

تقرير

«حماية الليطاني»: التعدّي مستمر بـ «رعاية» رسمية

من حملة تنظيف مجرى الليطاني (علي حشيشو)

آمال خليل

لا تزال خطة تنظيف مجرى الليطاني شعارات لم تتحول إلى أفعال. فيما يؤدي غض بعض المؤسسات الرسمية النظر عن تجاوز القوانين إلى زيادة التلوث. مصلحة الليطاني تصدت للترخيص لمحفار رمل في وادي الخردلي بهدد نظافة النهر وبنية مشروع السد المنتظر.

يوم الأربعاء الفائت، تلقى وزير البيئة رئيس المجلس الوطني للمقالع والكسارات طارق الخطيب كتاباً من المدير العام للإستثمار في وزارة الطاقة والمياه غسان بيضون يطلب تجديد إفادة استثمار محفار رمل صناعي في منطقة مزرعة الجرين في وادي الخردلي (قضاء مرجعيون)، على عقار غير ممسوح، في موقع يبعد عن مجرى النهر حوالي 750 متراً. علماً بأن صاحب الطلب نفسه «استحصل قبل سنوات على ترخيص لإستصلاح عقار مجاور يبعد حوالي 1500 متر عن المجرى. وبحجة الإستصلاح، جرف كميات كبيرة من الرمل وباعه قبل أن يحوّل العقار إلى مصاطب زراعية» بحسب مصادر مطلعة.

منعاً لتكرار المشهد، تحركت المصلحة الوطنية لنهر الليطاني وأرسلت كتاباً إلى وزارة الطاقة والمياه (الوصية على مجاري الأنهر)، استعرضت فيه الأسباب التي لا تجيز منح الترخيص بالتجديد. وأوضح رئيس مجلس إدارة المصلحة سامي علوية لـ«الأخبار» أنه نتيجة الدرس الميداني للعقار تبين بأن المحفار يؤثر سلباً على البنية الإنشائية لسد الخردلي ومحمية الليطاني. ولفت إلى «أضرار نتجت عن استثمار مرامل تقع شمالي العقار وإمكانية انزلاق الجبل نتيجة تذويب التماسك بين مكونات التربة. فضلاً عن أن استثمار محفار جديد سيغير الطبيعة الجيولوجية للطبقة السطحية المكونة من طبقة الدلغان الكاتمة التي تسمح بتسريب المياه عبر المجاري الشتوية».

رئيسة مصلحة المشاريع في المصلحة أنطوانيت سليمان أوضحت بأنه «لا يمكن إعطاء أي ترخيص لمحفار رمل لا يبعد عن محمية نهر الليطاني مسافة ألف متر، لأن أراضيها مصنفة». وكانت المصلحة قد طلبت من المديرية العامة للاستثمار في «الطاقة والمياه» عدم إعطاء رخص لاستثمار كسّارات على بعد 2000 متر من مشاريع المصلحة.

في محيط وادي الخردلي صعوداً نحو العيشية والريحان من جهة، و مرجعيون والنبطية من جهة أخرى، تعرضت منشآت المصلحة على مدى سنوات لتعديات متكررة ومستمرة بسبب استثمار مقالع عشوائية يعطى الإستثمار لها من وزارة الداخلية والبلديات من دون العودة إلى المصلحة الوطنية لنهر الليطاني، ومن دون درس مدى تأثير التفجيرات على منشآتها. ولا تزال حوالي ست مرامل تعمل بالقرب من مجرى النهر بين الريحان والخردلي من دون ترخيص من المجلس الأعلى للمقالع والكسارات في وزارة البيئة.

برغم إقرار الخطة الوطنية لحماية الليطاني بكلفة مليار ومئة مليون ليرة، لا تزال بعض الوزارات والبلديات تمشي عكس التيار بتغطية المقالع والمرامل غير الشرعية وتصريف المياه المبتذلة والصناعية في مجرى النهر. وبهدف توحيد الجهود وربطها بالمصلحة التي اسند إليها مهمة حوكمة العناصر المتواجدة على ضفاف المجرى، اجتمع علوية مع وفد من الحملة الوطنية لحماية الليطاني. وتوافق المجتمعون على «ضرورة استعادة المصلحة لصلاحياتها الرامية إلى رفع التلوث والتعديات».

> مصلحة الليطاني تتصدى لمحفار رمل مخالف في الخردلي

تحقيق

إنه زمن الـ«توك توك»

هادي أحمد

الانتشار المتزايد لـ«توك توك» في ضواحي الفقراء مظهر جديد من مظاهر تدني أوضاعهم (مروان طحطح)

بعد «السرفيس» و«الفان»، حلّ زمن الـ«توك توك». وصلت إلى لبنان وسيلة النقل الأهم في البلدان المكتظة، خصوصاً تلك التي تقع بمعظمها تحت خط الفقر كبنغلادش وباكستان والسودان. بدأت الحكاية منذ سنتين تقريباً، عندما أدخل تجار الدراجات النارية الـ «توك توك» الصيني إلى لبنان.

وسرعان ما بدأ ينتشر في بئر حسن وطريق المطار والأوزاعي والرحاب والدورة، في ضواحي بيروت، وكذلك في باب التبانة والسوق القديم ومنطقة الحدادين في طرابلس.

قد لا يعرف سكان ضواحي المدينتين بعضهم بعضاً. لكن البناء المنهجي للطبقات الشعبية ينتهي باتحادها، طبقةً تلو طبقة، من الأدنى إلى الأعلى. إنها كتلة لا علاقة لها بالسياسة، بل تقع ضمن ميزان الاقتصاد وحال المجتمع.

في ضواحي المدينتين، بات لهذه المركبة التي لطالما التصقت بالفوضى والفقر، حضور قوي، كباب للارتزاق يقي أصحابها وطأة الإيجارات وذلّ البطالة. «رأس مال بسيط لا يتعدّى 1600 دولار، وبلا طوشة المحلات والإيجارات» كما يقول محمد، بائع الكعك في منطقة الرحاب في صبرا. رأي يشاطره إياه حامد الذي فصل من عمله قبل عام، فاشترى «توك توك» وحوّله إلى «إكسبرس» لبيع القهوة في السوق القديم في طرابلس: «هيك أريحلي. لا دوام ولا مدير فوق راسي. بطلّع 40 ألف ليرة بالنهار تعيل خمسة من أفراد عائلتي بعدما فشلت في الحصول على عمل آخر». عامل آخر، بشجّع على اقتناء هذه المركبة، وهو الاستعاضة بها عن الدراجات النارية، «لأن الدولة كتير بتشدد هون عالموتسيكلات وبيظلمو الناس»، بحسب عمر الساكن في طرابلس.

> «رأس مال بسيط لا يتعدّى 1600 دولار، وبلا طوشة المحلات والإيجارات»

في الضاحية، بدأ أخيراً يُسجَّل استخدام جديد للـ«توك توك» كوسيلة للنقل «أسرع من السرفيس... وأرخص بألف ليرة» على ما تقول سمية التي تستخدم «تاكسي» الـ«توك توك» للتبضع. إذ إن هذه الآلية قادرة على «التسلل» بين السيارات، وليست مضطرة إلى كثير من «اللف والدوران»، كما هي حال الفانات والحافلات، بسبب قلّة عدد الركاب الذي لا يتعدى الاثنين، رغم «الخضخضة» بسبب بنيانها الهشّ.

يحصّل حسن، سائق الـ«توك توك» البالغ من العمر 19 عاماً، «40 ألف ليرة يومياً». قلقه دائم من حواجز الدرك التي يعمل على تفاديها، لأن لا تصنيف رسمياً بعد لهذه المركبة الكهربائية وما إذا كان مرخّصاً لها نقل الركاب أو البضائع أو غير ذلك. الـ«توك توك» في لبنان، كما كل شيء آخر في هذا البلد، «لا معلّق ولا مطلّق». رغم ذلك، لا يخفي حسن سعادته بما تدرّه عليه الـ«ميني تاكسي» التي يسهب في تعداد «محاسنها». لكن سعادة «المسترزقين» على الـ«توك توك» لا تنفي أن الانتشار الآخذ بالتزايد لهذه المركبة في ضواحي الفقراء مظهر جديد من مظاهر تدني أوضاعهم الاقتصادية والمعيشية.

مفكرة

«دليل المواطن والبلدية»: تقاسم الرئاسة غير قانوني!

ريم طراد

(هيثم الموسوي)

رغم أن في لبنان أكثر من 1000 مجلس بلدي، لا يزال كثير من صلاحيات المجالس البلدية وحقوقها وواجباتها وطرق الرقابة على عملها مجهولاً، حتى لأعضاء هذه المجالس أنفسهم. أدّى ذلك الى تحوّل كثير من الممارسات غير القانونية الى أعراف «طبيعية». من ذلك، مثلاً، الاتفاقات المتعلقة بتقاسم مدة ولاية الرئيس ونائبه مناصفة، وهو ما يحدث في كثير من البلديات رغم عدم قانونيته ولاقانونية أي عقد مكتوب في هذا الشأن.

من هنا، أطلقت جمعية «نحن»، أول من أمس، «دليل المواطن والبلدية». وهو شرح قانوني مبسّط للعمل البلدي يتناول خمسة عناوين عريضة: الإطار القانوني العام للبلديات في لبنان، الرقابة على عمل المجلس البلدي، الجهاز الإداري والوظيفي في البلدية، مالية البلديات، وتطوير العمل البلدي.

بداية، يرصد الدليل ارتفاع عدد البلديات في لبنان من 638 بلدية عام 1998 إلى حوالي الضعف في نهاية 2017 (1029 بلديّة). وبالتوزيع على المحافظات، تحتل محافظة جبل لبنان المرتبة الأولى لجهة عدد بلدياتها (323)، فيما حلّت محافظة بيروت أخيرة ببلدية واحدة فقط.

يوضح الدليل، بشكل مبسّط، صلاحيات المجلس البلدي المنصوص عليها وفق المادة 47 من قانون البلديات، والتي تنصّ على أن «كل عمل ذا طابع أو منفعة عامة في النطاق البلدي هو من اختصاص المجلس البلدي». ويعدّد أجهزة الرقابة على عمل المجلس، والتي تبدأ من الرقابة الذاتية وصولاً إلى رقابة ديوان المحاسبة، مروراً برقابات عدّة منها مجلس الخدمة المدنية ووزارة العدل.

يشير الدليل إلى مجالات عدة يمكن للبلديّة العمل عليها لتطوير العمل البلدي وإخراجه من «شرنقة» التزفيت والتشجير وجدران الدعم، وبالتالي تحقيق التنمية المستدامة. ومن هذه المجالات المخطّط التوجيهي للبلدة بالتعاون مع التنظيم المدني، حماية الثروات الطبيعية والحفاظ على البيئة، تحسين الخدمات الاجتماعية والصحية، إضافة إلى حماية الأمن في النطاق البلدي ومن ضمنه الأمن الغذائي.

* الدليل من إعداد القانونيين علي مراد وزهوان الصديق، وقد أطلقته الجمعية أول من أمس، وهو متوفّر على موقعها الإلكتروني.

حقوق

لجنة الحفاظ على صور:

تحذير من تغيير جغرافية المدينة

أصدرت "اللجنة اللبنانية للحفاظ على صور" بياناً حذّرت فيه من التمادي والاستمرار بتعديل طوبوغرافية مدينة صور «وهو تغيير جغرافي خطير لصور وطمس للمعالم الأثرية البحرية، كما أن تلزيم منطقة الجمل السياحية يعتبر جريمة لا تغتفر تقدم عليها بلدية صور في ليلة ليلاء وغفلة عن أبناء المدينة الذين يرفضون ما تسعى إليه البلدية التي تتذرع بأسباب واهية، لإمرار هذا المشروع خدمة لبعض المتنفذين، وشركات لا تبغي التطوير بقدر ما تبغي الربح، غير عابئة بالأضرار التي تحدثها على هوية صور التاريخية التي ناضلنا من أجل الحفاظ عليها في أصعب الأوقات وأدقها باستصدار القرارات الدولية من الأمم المتحدة ومنظمة الأونيسكو ووضعها على لائحة التراث العالمي، ما يلزم المسؤولين بالرجوع الى منظمة الأونيسكو لأخذ الموافقة المسبقة لكل مشروع يتعلق بهيكلية المدينة».

وأدانت اللجنة «الانتهاكات والأضرار التي وقعت في آثار الملعب الروماني والناتجة من الإنشاءات التي أقيمت أخيراً لتنظيم حفل الفنانة جوليا بطرس»، وناشدت رئيس الجمهورية، ووزير الثقافة ومنظمة الأونيسكو «التدخل السريع لتدارك المجازر التي تستهدف صور ووقف مشروع ردم البحر لتوسيع المسار الجنوبي».

مبشر

الحشيشة... آخر الدواء الكي

صلاح زغيب*

تشريع زراعة القنّب الهندي (الحشيش) في لبنان من التشريعات المرغوبة لدى فئة كبيرة من الناس في البقاع عموماً، وفي البقاع الشمالي خصوصاً. ويمكن لهذا التشريع أن يساهم في مكافحة الفقر المدقع في البقاع، وأن يخلق المزيد من فرص العمل الشرعية، كما يمكن له أن يزيد من مداخيل المالية العامة.

حركة تشريع القنب الهندي في العالم اليوم في حال متقدمة. فلا تمر سنة إلا ولائحة البلدان التي تشرع القنّب الهندي للاستخدام الطبي و/ أو الشخصي تزداد بإضطراد، خصوصاً في البلدان النامية. والمطلع على هذه التشريعات يلاحظ سريعاً أن التشريعات هذه تتناسب مع خصوصية كل بلد على حدة.

الفرق بين تشريع الحشيش في البلدان النامية (لبنان مثلاً)، والبلدان الصناعية النامية شاسع حقاً. فمن المعلوم أن البلدان النامية قرّرت عبر كل تاريخها المعاصر تجريم الحشيش لأي استخدام كان، وكانت العقوبات من العيار الثقيل، الى أن قررت مؤخراً - وغالباً خلال العقد الماضي - تشريع وقوننة زراعة المحصول واستخدامه.

ما يميز هذه التشريعات في البلدان النامية أنها أتت متأنّية ولم تكن وليدة صدفة. بل نتيجة للتخطيط الواعي. فقد تم التحضير لهذه التشريعات عبر تطوير الوعي الجَماعي لمخاطر الاستخدام الشخصي وتصوير هذه الزراعة كآفة اجتماعية. كما ترافق ذلك مع رفع المستوى المعيشي والاتجاه نحو التوزيع العادل للثروات الوطنية ومكافحة الفقر والحد من انتشاره ومن تنامي آثاره السلبية. ومن المعروف أن استخدام الحشيش والمخدرات ينتشر بشكل أكبر في المناطق المهمشة وبين الفقراء والعاطلين عن العمل. وقد ترافق ذلك مع تطوير المؤسسات العلاجية للإدمان على المخدرات ونشر الوعي بين كافة شرائح المجتمع حول المخاطر الصحية والاجتماعية والاقتصادية لهذه الآفة.

أما الاستخدام الطبي للحشيش، فما زالت العلوم الطبية عامة مشككة في جدوى العلاج بالحشيش. ولعل المطّلع يعلم تماماً أن معظم العلاجات الطبية هي عبارة عن منتجات يتم تحضيرها على مستوى فردي من الحشيش الخام. أي أن المريض يستحصل على خام الحشيش ويستخرج منه الزيوت للحقن أو يحضرها للمضغ او الاستهلاك لأهداف علاجية. وهنا تكمن احتمالات تماهي حدود الاستخدام الطبي مع الاستخدام الشخصي كمخدر.

مقارنة مع التجارب العالمية، تبدو التجربة اللبنانية متسرعة للوهلة الأولى. اذ أن الأرضية اللازمة لقوننة هذه الزراعة لا تبدو جاهزة بالكامل. فالبنية المؤسسية والتنظيمية ونظام الحوكمة بشكل عام يعاني من خلل وضعف بنيوي يستعصي عليه التعامل مع قضايا أقل خطورة وحساسية من موضوع المخدرات والحشيش، لا سيما في الأمن والقضاء والزراعة والصحة والتحصين الاجتماعي ومحاربة الفقر وتوزيع الدخل. يترافق ذلك مع محدودية انتشار وكفاءة المؤسسات المعالجة للإدمان. فعلى سبيل المثال، يمكن تهريب كميات كبيرة من المواد الخام من السوق الطبي الى سوق الاستهلاك الخاص، مع شبه استحالة في رصد أو مراقبة أو محاسبة هذا التهريب. و مهما كانت هذه التشريعات دقيقة وضامنة على مستوى النص، فإن حسن تطبيقها على الأرض يبدو مشكوكا فيه كما دلت على ذلك محاولات تطبيق العديد من القوانين، مثل قانون السير وقانون منع التدخين وغيرها.

إن قضية التنمية الريفية المستدامة في لبنان عامة، وفي البقاع خاصة، كانت متاحة و بكثرة و بعيداً عن تشريع الحشيش عبر تاريخ لبنان الحديث. لكن نظام الحوكمة المحدود هو الذي منع هذه التنمية. فالحوكمة المؤدية الى التنمية المستدامة في لبنان منقسمة بين من لا يريدها أصلا ومن يريدها صادقاً من دون أن يعرف الكيفية. تُرك البقاع منفردا يواجه أزماته الاقتصادية و الاجتماعية الى أن أوصلوه الى الكي... آخر الدواء.

*مهندس زراعي، خبير تنمية ريفية

ارشيف

بين آل رحّال وكرة الطاولة «حكاية غرام»

تصنيف عائلي ودورات شهرية وإنجازات

عندما نظّمت بلدية برج البراجنة دورتها الاولى للشباب والقدامى في لعبة كرة الطاولة، اسفرت نتائجها عن احتلال آل رحّال المراكز الأولى في الفئتين. شارك عشرة لاعبين من أبناء العائلة في تلك البطولة، أصغرهم في عقده الثالث. هذه النتائج اللافتة تبعث على الاهتمام، لمعرفة طبيعة العلاقة بين العائلة واللعبة الفردية. وللوقوف على التفاصيل، كان لا بدّ من زيارة إلى معقل العائلة الرياضي، حيث النادي ومكان الالتقاء اليومي حول الطاولة الخضراء

ممارسة الرياضات العائلية تدعم الروابط الاسرية (الاخبار)

يقول اللاعبون إن كرة الطاولة افضل دواء لمحاربة مرض الزهايمر

ابراهيم وزنة

أحمد أنيس رحّال (65 عاماً) هو أوّل الواصلين. يقع على عاتقه فتح أبواب مقر الرابطة «الرحّالية» التي تأسست في العام 1973. يعمل على تهيئة الأجواء لقدوم الأقارب الذين اعتادوا التوافد من دون أي مواعيد مسبقة. وكان أحمد قد نزل إلى ميادين اللعبة حديثاً، أي منذ ثلاث سنوات فقط، بتشجيع من بطل العائلة بلدية برج البراجنة الأسبق جمال رحّال (56 عاماً). ترتيبه الرابع في العائلة) بأنّ لعبة كرة الطاولة أفضل دواء لمحاربة مرض الزهايمر، داعماً رأيه بعرض أحد التقارير عبر هاتفه الجوّال. عن رحلته مع اللعبة، وهو المُهاب من الجميع على الطاولة، يقول محمد حسن رحّال (بطل العائلة . 56 عاماً): «بدأت بممارسة اللعبة وأنا في الثامنة من عمري، في محل ربيع الخليل. أوّل من درّبني هو مهند اليماني، اللاعب رقم واحد في مخيّم البرج، وبعده صقل موهبتي زينون القماطي. وفي مدرستي أحرزت المراكز الأولى لعدّة سنوات، لأحرز بعمر العاشرة بطولة لبنان للناشئين». وأحرز لاحقاً العديد من البطولات مع نادي الرياضي ومع نادي العهد الذي انتسب إليه منذ 3 سنوات فقط. يقوم محمد ومعه صافي أحمد رحّال (53 عاماً . المصنّف ثانياً في العائلة) بتدريب وصقل باقي أفراد العائلة، المتزايدة أعدادهم في طرق أبواب اللعبة. ويشير صافي: «في سهراتنا الرياضية نستفيد على أكثر من صعيد. صحياً واجتماعياً. ومن خلال اللعبة نسجنا أجمل وأرقى العلاقات مع لاعبين آخرين، وأكثرها تميّزاً مع «رابطة ترشيحا» داخل مخيم البرج. هناك تحدث المباريات من وقت إلى آخر... «مع آل الهبش في صيدا، ومع آل أبو فيصل في الدامور. قد نختلف مع البعض في السياسة ولكن نجتمع بمحبة مع منافسة شريفة عند خوض المباريات».

يستذكر صافي تأثره بمحمد عندما كان يلعب يومياً مع اللاعبين بلال عودة وصالح عبد الرحمن، وهما من أبطال فلسطين في اللعبة. كان يشاهد اللعب لمدة ثلاث ساعات ليحظى باللعب ربع ساعة فقط. بدأ مسيرته مع البطولات في الجامعة عام 1984، ليحرز لاحقاً بطولة الجامعة اللبنانية في عام 1987. يتدخّل نبيل حسن رحّال (58 عاماً . المصنّف ثالثاً في العائلة) ليكمل عن قريبه: «صحيح أنها لعبة فردية، ومن المفروض أن تفلّف مجرياتها الألفة وخصوصاً بين الأقارب، إلا أننا نتحمّس لترتفع أجواء الإثارة والحماسية والمنافسة، ولكن بشكل نظيف». أما عن وجود لعبة تجمعهم أيضاً غير كرة الطاولة، أخبرنا صافي أنهم يتمرنون أسبوعياً على كرة القدم، إلا أنّ تركيزهم الأكبر يقع على كرة الطاولة، متمنياً على اتحاد بلديات الضاحية أن «ينظّم بطولة للكبار والشباب بين بلدات الغبيري وحارة حريك والمريجة وبرج البراجنة». وتجدر الإشارة إلى أنّ فريق البرج لكرة القدم في التسعينيات كان يضمّ في صفوفه أربعة أخوة، حسن وحسين وعلي وفضل، هم أولاد عباس رحّال لاعب الشبيبة المزرعة السابق وشقيق الكابتن سهيل رحّال لاعب فريق الراسينغ والمنتخب الوطني لسنوات عدّة.

وحول البطولة العائلية في كرة الطاولة، ومدى التبدّل في تصنيف اللاعبين، قال عبدالله أنيس رحّال (61 عاماً): «نقيم دورة شهرية، يشرف عليها محمد وصافي (الأول والثاني في الترتيب)، على أمل أن يحصل التغيير في بقية المراكز. إلا أنّ الوضع لم يتغيّر منذ أكثر من سنة، إذ بقي زاهي ابراهيم رحّال في صراع دائم مع نبيل حسن رحّال على المركز الثالث وخلفهما يتربّص جمال رحّال». لا شكّ أنّ ممارسة الرياضات العائلية تدعم الروابط الأسرية وتعزز روح الانتماء بينها، لا سيما إذا ما تمت في أجواء حماسية. وفي هذا الصدد، يوضح الرئيس محمد طه رحّال: «أجواء الرابطة والنزالات اليومية في كرة الطاولة شجّعت الجيل الجديد من أفراد العائلة على المواكبة واللعب والارتقاء، وهكذا تترابط أجيالنا على أمر جيّد وهذا ما يُدخل السرور إلى قلوبنا. أن تجمعنا طاولة البينغ بونغ أفضل من أن تجمعنا طاولة لعب ورق»، يختم حديثه.

شجّعونا لتنظيم بطولة

«بناءً على ما تابعته من مستويات عالية خلال زياراتي المتكررة إلى اخوتي آل رحّال، طرحت على المجلس البلدي تنظيم بطولة في لعبة كرة الطاولة للكبار والشباب والصغار، وسريعاً تمّت الموافقة. وقد شارك في مجرياتها ما يزيد عن 60 لاعباً بينهم خمسة أعضاء من المجلس البلدي، إلى نائب الرئيس زهير جلول وعدد من مخاتير البلدة»، هذا ما أخبرنا به رئيس اللجنة الرياضية في بلدية برج البراجنة الكابتن بسام فرحات الذي كان شاهداً على احتدام المنافسات بين أبطال آل رحّال.

بينغ بونغ

يرفع الحكم يده باحثاً عن الصمت في المدرجات. فيما يقف في مقابله اثنان ينظران إلى بعضهما وكأنهما يريدان المبارزة. تفصلهما طاولة خشبية لا يتجاوز طولها الثلاثة امتار. يحملان في يدهما مضربا او ما يسمى بـ«الراكيت». تعطى إشارة الانطلاق فترتفع كرة صفراء في الهواء ومن بعدها تبدأ المباراة. كرة الطاولة لعبة باتت تتطور لبنانياً وعربياً في السنوات الاخيرة. فعلى الصعيد المحلي بات اللاعبون يذهبون خارج لبنان بحثاً عن مشاركة تزيد من خبرتهم. اما عربياً فمنتخب لبنان حقق نتائج إيجابية في بطولة العرب التي انطلقت في 31 تموز/يوليو. ومازالت مستمرة

اللاعبون يستحقون التكريم (ارشيف)

اللبنانيون في البطولة العربية

نتائج جيدة «على حسابهم الخاص»

البطولة العربية تنظم كل عام وتتنقل بين مختلف الدول العربية. وتتوزع المنافسات على مختلف الفئات العمرية. شارك في النسخة الـ26 للبطولة على صعيد المنتخبات 16 دولة في بطولة هذا الصيف. وفي مصر فرض المنتخب المستضيف للبطولة سيطرته على المنافسات كافة حيث حصد المركز الأول في منافسات السيدات والرجال، الشابات والشباب تحت 21 سنة، واحتلت الجزائر مركز الوصيف. ولدى الناشئين تحت 18 سنة جاءت مصر أيضاً في المركز الأول، فيما عزز الأشبال والشبلات تحت 15 سنة صدارة مصر لتنفرد بالذهبيات على منصة التتويج. أما لبنان فلم يلعب دور الزائر الذي يلقي التحية ثم يخرج من البستان خالي الوفاض من دون أي غلة في سلته. هزم لبنان العراق في فئتي الشابات والشبلات ليحصد البرونزية، وعلى الميدالية ذاتها لم تسلم قطر من لبنان الذي فاز في منافسات السيدات، وعلى نفس المنتخب ضمنت أصغر لاعبة في البطولة بيسان شيري (7 أعوام) برونزية تحت 12 سنة. ولدى الرجال فاز لبنان على البحرين 3/2 محرزاً البرونزية أيضاً. «إنجاز» لبناني على الصعيد العربي، نتيجة العمل الحثيث الذي بذله اللاعبون بالدرجة الأولى. اللاعبون وحدهم يستحقون التحية والتكريم. المنتخب اللبناني لا يملك مدرباً، في الوقت الذي يرى فيه أحد أعضاء البعثة المؤلفة من حوالى 35 شخصاً أنه لو كان هناك من يهتم ويحضر اللاعبين، لحصد لبنان فضية على الأقل ولم لا المركز الأول. تقصير اتحاد رياضي في لبنان ليس بالأمر الجديد، لكن اللافت أن هذه اللعبة التي تحقق النتائج للبنان لا تلقى اهتماماً. ولأن لبنان يعتمد قاعدة «متعودة دايماً»، فإن كرة الطاولة اللبنانية لم تخلُ من «المحسوبيات»، فتشكيل الفرق يتأثر بـ «الواسطة»، وقد يفضل لعب شخص على آخر بغية تحسين الصورة عند واحد من أصحاب «المعالي». وبعيداً عن هذا كله 10 فقط من البعثة سافروا على حساب الاتحاد، أما البقية فقد قاموا بجمع «قروشهم» من أجل المشاركة وتمثيل بلدهم الذي يعاني اتحاده على ما يبدو من «الفقر» وعدم قدرته على دعم لاعبيه، وإذا قمنا بالبحث عن الأرقام التي تُضحّ في هذا الاتحاد ربما وجدنا أن الطيور تتغذى عليها.

> **10 فقط من أصل 35 في البعثة سافروا على حساب الاتحاد**

وفي سياق آخر، قررت اللجنة التنفيذية في الاتحاد العربي لكرة الطاولة، إنشاء لجنة للاعبين العرب خلال الفترة المقبلة، وذلك من أجل تسهيل عملية توصيل صوت اللاعبين إلى المكتب التنفيذي باعتبار أنهم يشكلون المحور الرئيسي للعبة. السعي العربي لتطوير اللعبة لم يتوقف هنا، إذ اتّخذ قرار بفصل البطولات العربية بالنسبة إلى الفئات المختلفة وإقامة كل بطولة على حدة، في توقيت متقارب مع البطولات الدولية التي تقام في البلدان العربية وذلك من أجل إتاحة الفرصة للاعبين العرب للمشاركة في هذه البطولات الدولية. ما يساعد على وجود أكبر عدد ممكن من العرب في قائمة اللاعبين المصنفين دولياً. إذاً، ما لا يقل عن 200 لاعب ولاعبة من الدول العربية استطاعوا أن يربطوا أسماءهم في التصنيف الدولي للاعبين العالميين. ولكن السؤال أين اللبنانيين من هذه المجموعة؟ آمالهم في المضي قدماً على الصعيد الدولي يحطمها الركود البيروقراطي «تحت الطاولة»، في «مكاتب» هذه اللعبة وفي ملاعبها.

(الأخبار)

الكرة اللبنانية

لا مفاجآت في انطلاق كأس التحدّي

قسى الساحل على طرابلس (عدنان الحاج علي)

لم تحدث أي مفاجأة في انطلاق الجولة الأولى بمسابقة كأس التحدّي. الفرق التي تحضّرت تغلّبت على نظيرتها التي تأخّرت في التحضير. طرابلس والتضامن صور سقطا بفعل عدم التعاقد مع مدرب، فالفريق الشمالي عيّن فادي عياد من اللجنة الفنية لقيادة الفريق، و«سفير الجنوب» تعاقد مع محمد زهير قبل يوم واحد على أول مباراة للفريق، مكتفَين بضم ثلاثة أجانب للاختبار.

على ملعب العهد قسا شباب الساحل على طرابلس 6-1. عباس عطوي جدد شبابه مسجلاً هدفاً في مباراته الرسمية الأولى مع فريقه الجديد (45). هدفٌ هو الأول له منذ سجل في مرمى الساحل تحديداً قبل عامين. أما حسن كوراني الذي لعب في الموسم الماضي مع طرابلس، سجّل في مرمى زملائه السابقين هدفين (14 و84)، فيما أضاف محمد سالم (23) وحسين حيدر (68) وحكمت زين (86) الأهداف الثلاثة الأخرى، بينما سجل أحمد دياب هدف طرابلس الوحيد.

وعلى ملعب كفرجوز في النبطية، أسقط الشباب الغازية العائد إلى الدرجة الأولى التضامن صور 2-1.

دقيقةً واحدة كانت كافية لعلي يزبك لافتتاح التسجيل للغازية، وأضاف العاجي كريستيان جان كيكي الهدف الثاني (15)، فيما سجل عبد الله كفل هدف التضامن في الدقيقة الأولى من الوقت المحتسب بدلاً من الضائع.

الجولة الثانية ستكشف عن شكل الراسينغ، الذي لم يُعيّن مدرباً بعد، ولاعبوه يطالبون الإدارة بالحصول على استغناءاتهم. مباراة الفريق الأولى ستكون مع التضامن صور على ملعب العهد، فيما سيواجه البقاع الرياضي طرابلس في بحمدون. الفريقان كلاهما البقاعي والبيروتي سيلعبان مع الفريقين اللذين تكبّدا الخسارة في الجولة الأولى، وبالتالي مهمتها لن تكون سهلة.

(الأخبار)

الصربي بونياك مدرباً للنجمة

أعلنت إدارة نادي النجمة عن التعاقد مع المدرب الصربي بوريس بونياك (مواليد 1954) لقيادة الفريق الأول خلال الإستحقاقات المقبلة والموسم الكروي 2018 - 2019. وستكون أولى مهام المدرب بونياك مع الفريق هي الدور 32 من منافسات بطولة «كأس العرب للأندية الأبطال» حيث يلتقي النجمة مع الأهلي المصري في 13 آب على استاد برج العرب في الإسكندرية. وخاض بونياك تجارب كثيرة في كرة القدم الخليجية، وسبق له تدريب منتخب الكويت وأندية الشعب الإماراتي والنصر والعروبة في عمان والعربي والجهراء الكويتيين.

دينامو زغرب هو سفير كرواتيا في كرة القدم الأوروبية (أندريه إيساكوفيتش ـ أ ف ب)

فيتشر

«غراد جنسكي» أو فريق الشعب
دينامو زغرب «ساقية» كرواتيا

حسن عطية

شهدت زغرب العديد من التقلبات في القارة الأوروبية. عاصرت احتلال العثمانيين لدول البلقان. عاشت تحت الحكم الملكي ليوغوسلافيا، وعانت من التبعية للعاصمة بلغراد أيام الاشتراكية الاتحادية. هُجر أهلها إلى البوسنة والمناطق المجاورة. قتلوا وقُتلوا. وقفت في وجه الصرب من أجل الاستقلال. سالت الدماء في الشوارع التي دُمّر أغلبها. عانت المدينة من انهيار اقتصادي. وصلت زغرب إلى نهاية النفق المظلم، حيث وقف القتال في كانون الثاني/يناير 1992 وبعدها اعتراف دولي بكرواتيا على أنها دولة مستقلة. العاصمة الكرواتية عرفت كيف تعود إلى الحياة، وبعيداً عن الحرب والسياسة فإن المدينة التي تابعت كل هذه الأحداث قدمت لكرواتيا رياضياً لا يعين صنعوا تاريخ كرواتيا مستقلة، ومن فرنسا 1998 إلى روسيا 2018، نادي دينامو زغرب كان الساقية التي تشرب منها كرواتيا كرة القدم وتسقي منها اللاعبين ليصبحوا من بين الأفضل في العالم.

أن تعيش كل هذا الظروف وتصدّر للعالم لاعبين على أعلى المستويات كروياً فهذا خير دليل على أنك تملك العزيمة لكي تقول: «أنا هنا لكي أقاتل من أجل هويتي». بشكل دينامو زغرب سفير كرواتيا في كرة القدم الأوروبية، فهو بنظر مشجعيه الوجه الجميل الذي يعكس ثقافة البلد وما عانته لذلك لا يحبون أن يروه يخسر. وعلى ذكر الجمهور في عام 2004 اضطر لاعبو دينامو أن يتدربوا وهم يرتدون فقط سراويلهم، بعد أن قام 50 من مشجعي الفريق المتعصبين الغاضبين من أداء الفريق الضعيف في الدوري الكرواتي بتجريد اللاعبين من قمصانهم قبل المران، وطالبوا اللاعبين بتسليمهم قمصانهم الزرقاء اللون قائلين: «إنهم لا يستحقون ارتداء قميص الفريق». هذا ما يعنيه دينامو وكرة القدم للكرواتيين.

اشتهرت يوغسلافيا بفريقها «الأسطوري» ريد ستار بلغراد الذي حقق لقب دوري الأبطال، لكن دينامو زغرب تفوق عليه وكان سباقاً إلى تحقيق أول بطولة ليوغسلافيا أوروبياً في «كأس المعارض الأوروبية» عام 1967. بيد أن الاتحاد الأوروبي يرفض الاعتراف بهذه البطولة التي يتغنى بها أبناء العاصمة الكرواتي. النادي العاصمي لا يزال معارضاً ليوغسلافيا حتى اليوم إذ إنه يصرّ على إعادة جذوره لنادي «غراد جنسكي» والذي يعني الفريق «المدني» أو فريق الشعب. تم تأسيس الفريق في عام 1913 وتمت محاربته من قبل السلطة الجديدة بعد إعلان يوغسلافيا الاشتراكية لأنها اعتبرته «قومياً». يذكر فريق دينامو على موقعه الرسمي بأنه «وريث» هذا النادي وهم جزء من غرادجنسكي أحد أنجح الأندية في كرواتيا قبل الحرب العالمية الثانية، إلا أن الاسم تغير إلى دينامو زغرب في 1945. عاد الاسم إلى ما كان عليه مطلع السنوات الأولى للاستقلال ثم تحول إلى كرواتيا زغرب. لكن الجماهير أصرت على أن يكون الاسم دينامو زغرب ولا شيء غير ذلك. الحقيقة أن كل شيء له قصة في هذه المدينة، إذ عشاق النادي يرون أن هذا الاسم يمثل القلب النابض لكرواتيا، فهو يعني «محرك زغرب» حيث كانت بداية قصة البحث عن كرواتيا منفردة عن محيطها.

حملت الألفية الجديدة معها تحولاً جديداً في دينامو الذي بات بطل كرواتيا من 2005 حتى عام 2017. خلق دينامو «إمبراطورية» كروية في كرة القدم داخل حدود وطنه. امتدت حدودها من المنافسة على البطولات إلى صناعة اللاعبين، لتتصف أكاديمية دينامو من بين أفضل عشرة في العالم. وإذا توقفنا قليلاً عند خريجي هذه الأكاديمية وهذا الفريق عرفنا لما استحق هذا التصنيف. لوكا مودريتش، ماريو

> ما لا يقل عن 50 لاعباً في الدوريات الأوروبية تخرجوا من أكاديمية دينامو

ماندزوكيتش، ماتيو كوفاسيتش، ديان لوفرين، سيمي فرسالييكو والقائمة طويلة. سافيسافيتش وزفونيمير بوبان كانا في «قلعة» دينامو أيضاً. ووفقاً للإحصاءات التي نشرها المركز الدولي للدراسات الرياضية (CIES) عام 2015، فإن ما لا يقل عن 50 لاعباً يلعبون في الدوريات الأوروبية الكبرى تخرجوا من أكاديمية دينامو زغرب. ثلاثة أندية فقط أياكس وبارتيزان بلغراد وبرشلونة هي أكاديميات أكثر إنتاجية.

في أروقة الأكاديمية، يتدرب اللاعبون على فهم خطة 4-3-2-1. الأمر ليس عبثياً لأن مدربي الشبان يؤمنون بأن وسط الميدان هو «مفتاح» كرة القدم. يُعوّد اللاعبون على ممارسة الضغط العالي منذ صغرهم والاعتماد على القوة البدنية. العمل الفردي ليس محبذاً بالنسبة لهم فهم يفضلون اللعب الجماعي. وإذا عدنا إلى قائمة لاعبي منتخب كرواتيا التي حلّت وصيفة في كأس العالم روسيا 2018، وجدنا أنها تضم أكثر من 10 لاعبين من الأكاديمية، ولم لا يمكننا القول إن زلاتكو دالیتش الذي سبق وعمل كمدرب في كرواتيا استوحى خطة لعبه من دينامو. فأداء كرواتيا في المونديال الأخير يختصر الثقافة التي يتربى عليها الشبان في زغرب. رحلة البحث عن المواهب تتوزع على العديد من المدن في أوروبا والقارة الأميركية، ولكن صربيا ليست مشمولة أبداً بهذه الرحلة. فالصرب غير مرحب بهم نتيجة لاعتبارات تاريخية جرح الحرب لم يلتئم بعد. تنظم المعسكرات في كندا، البوسنة والهرسك، ألمانيا والنمسا.

في سياق متصل، السؤال الذي يمكن طرحه: لم لم يفرض دينامو هيمنته كروياً على الساحة الأوروبية وهو الفريق الذي أهدى كرة القدم أسماء بارزة؟ الإجابة عن هذا السؤال يمكن إيجادها عند زدرافكو ماميتش الرئيس التنفيذي السابق ووكيل اللاعبين في النادي، الذي حول غرفة إدارة النادي إلى مكان تفوح منه رائحة «الفساد»، ليحكم عليه في حزيران/يونيو الماضي بالسجن، حيث تولى منصبه في 2003 وعزل منه في 2016. جعل مامتيش النادي مكاناً لزيادة في حساباته المصرفية. إذ بنى الفريق للسيطرة محلياً وتوفير وسيلة لبيع المواهب وليس التنافس في أوروبا. هدفه الرئيسي في كل موسم هو تأمين اللقب المحلي. بحيث يكون لدى الفريق فرصة في الحصول على جائزة مالية من الاتحاد الأوروبي لكرة القدم. إضافة إلى التأهل لدوري أبطال أوروبا، فهذا الأمر وحده سيملأ أكثر من نصف الميزانية السنوية، والتي تجعله يبتعد عن باقي الأندية في الدوري. على حساب رؤية قارية أكبر، سيكون بمقدور مامتيش بيع لاعبيه بأسعار أعلى. نتيجة لذلك، دينامو أصبح مجموعة من الأفراد بدلاً من فريق. قد تتغير الأمور في دينامو مع سجن مامتيش بسبب التربح من صفقة انتقال لوكا مودريتش في 2008 إلى توتنهام والتهرب الضريبي. طالت الاتهامات أيضاً زوران شفيق ماميتش، ومسؤول الضرائب ميلان بيرنار والمدير التنفيذي للاتحاد الكرواتي لكرة القدم دامير فربانوفيتش بتهمة الفساد. وتم الحكم على زوران المدرب السابق لدينامو بالسجن 11 سنة مقابل أربع سنوات وشهرين لبيرنار وثلاث سنوات لفربانوفيتش.

وصلت كرواتيا إلى نهائي كأس العالم. ورغم خسارتها إلا أنها استقبلت كما لو أنها عادت بالكأس، وإذا كان لا بد من شكر أحد غير اللاعبين والجهاز الفني على ما قدمته كرواتيا في المونديال، فإن العاملين في أكاديمية دينامو زغرب يستحقون التحية على أقل تقدير على ما بذلوه لبناء هذا الجيل.

الكرة الإنكليزية

الدرع الخيرية: ساري يبحث عن البداية المثالية

ساري يعلم بأنها فرصة لتوجيه رسالة (أ ف ب)

ما إن يسمع محبو كرة القدم أن مباراة السوبر الأوروبي، الإسباني أو الإيطالي وغيرهما من البلدان اقترب موعدها، حتى يبتهجوا لأن ذلك يبشر بعودة كرة القدم إلى الحياة مجدداً. بطولة السوبر التي تجمع بطل الدوري بالكأس تلعب قبل فترة قصيرة من انطلاقة الموسم الجديد، حيث يتمكن بطل الموسم الفائت في الدوري من مراجعة حساباته في رحلة بحثه عن الحفاظ على لقبه. أما بطل الكأس فليس هناك ما يخسره، إنما ينصبّ سعيه على حصد كأس أخرى يكلل بها خزائنه. وفي إنكلترا يحتضن الملعب الذي شهد نشأة كرة القدم، والذي يعدّ من الأقدم في تاريخ اللعبة كأس السوبر التي تسمى درع الاتحاد الإنكليزي والتي كانت تعرف سابقاً باسم «الدرع الخيرية»، غداً الأحد (5 آب/ أغسطس) سيحضر كل من تشلسي ومانشستر سيتي في ملعب «ويمبلي»، حيث سيبحث بيب غواردیولا عن لقبه الأول هذا الموسم، أما «الجديد» على الملاعب الإنكليزية، فماوريسيو ساري يعلم بأنها فرصة لتوجيه رسالة تقول: «تشلسي، ساري قادم بقوة»

الفريقان لن يحصلا سوى على كأس تحفظ في أحد متاحف الفريقين. ففي 1997 وافق الاتحاد الإنكليزي لكرة القدم في جمعيته العمومية بأغلبية أصواته على أن يصبح ربح ودخل هذه البطولة خيرياً للجمعيات والمؤسسات الخيرية للفقراء. يكتفي الفريق الفائز بلقب البطولة، والدرع المقدمة من الاتحاد. من دون عوائد مالية من حضور الجمهور والنقل التلفزيوني وغيره.

وبعيداً عن الحسابات المادية، فإن الفريقين يعانيان من الإرهاق الذي سببته بطولة كأس العالم الأخيرة للاعبين، وخصوصاً أن معظم اللاعبين الذين وصلوا إلى أدوار متقدمة في كأس العالم يلعبون في إنكلترا، حيث سيغيب عن تشلسي كل من: كانتي وجيرو، أما في مان سيتي فإن ميندي الوحيد الذي لن يحضر. وشهدت الأيام الأخيرة الماضية عودة جميع اللاعبين إلى تدريبات الفريقين، ولعل أبرزهم كيفن دي بروين وأدين هازارد اللذان حلا في المركز الثالث مع منتخب بلادهما بلجيكا.

قد لا تؤثر الغيابات كثيراً على تشكيلة الفريقين في مباراة الدرع الخيرية، لكنها قد تؤثر على ساري تحديداً الذي يحتاج إلى معرفة جميع لاعبيه واكتمال الفريق في «ستامفورد بريدج»، حيث إن الدوري الإنكليزي الممتاز ينطلق بعد 4 أيام من مباراة الدرع الخيرية. مساعي ساري واضحة لتغيير طريقة اللعب إلى 3-3-4 حيث يحبذ الأخير الضغط على الفريق الخصم والحفاظ على الكرة ولعب كرة هجومية، وهو عكس فلسفة تشلسي الكروية التي عمل عليها في السنوات الأخيرة. أما في ما يخص بيب، فهو يحبذ نفس الأسلوب الذي يلعب به ساري مع فارق الإمكانيات وكان المدربين تخرجا في نفس المدرسة التدريبية.

ستكون المباراة أشبه بمباراة

> قد لا تؤثر الغيابات كثيراً على تشكيلة الفريقين لكنها قد تؤثر على ساري

ودية، وقد يكون المستوى فيها أقل من المعتاد وذلك بسبب عدم أخذ اللاعبين فترة راحة كافية. وهذا لا يعني أنه لا يوجد أي شيء يمكن أن نتطلع إليه، أقلها كرة القدم ذات التفكير المتقدم. قد تكون هذه المباراة متدنية الأهمية، لكن من المتوقع أن تكون عالية في مجال الترفيه، وهي بعيدة كل البعد عن قضية خط الوسط المعتدل، حيث إن المواجهة الأخيرة بين الفريقين في هذه الكأس شهدت تحفظاً كبيراً عام 2012.

المباراة قد تكون شبيهة بمباراة نابولي أمام «السكاي بلو» في دوري أبطال أوروبا الموسم الماضي، يومها كان ساري مدرباً للفريق الإيطالي وانتهت المباراة في ملعب «سان باولو»، حيث فاز فريق غواردیولا (2-4). والفوز بمباراة الدرع الخيرية ليس مؤشراً على النجاح في الموسم المقبل، فثمانية أندية توالياً ممن فازت بالدرع الخيرية بين عامي 1997 و2004 فشلت في تحقيق الدوري في الموسم الذي تلاه.

خيسوس يجدد عقده

وقع المهاجم الدولي البرازيلي غابرييل خيسوس عقداً جديداً يبقيه مع فريقه مانشستر سيتي، بطل الدوري الإنكليزي لكرة القدم، حتى عام 2023 بحسب ما كشف الأخير في موقّعه الرسمي. ونقل السيتي عن خيسوس، الذي كان مع منتخب بلاده في مونديال روسيا 2018، قوله: «أريد أن أتوجه بالشكر إلى المشجعين على الترحيب الذي حظيت به والطريقة الجيدة التي عاملوني بها». وتابع صاحب الـ24 هدفاً في 53 مباراة خاضها بقميص بطل الدوري الممتاز: «بإمكاني القول إنه كان أفضل قرار في حياتي بأن أنتقل إلى مانشستر سيتي لأني بوجودي هنا، أنا أتطور كمحترف وشخص»، كاشفاً أنّ المدرب الإسباني جوسيب غواردیولا «لعب دوراً هاماً بالتوقيع معي». واعتبر خيسوس أنّ «سيتي نادٍ هائل ويكبر يوماً بعد يوم، وأريد أن أقول شكراً على كل شيء. أتمنى مواصلة إسعاد المشجعين». بدوره، قال مدير الكرة في النادي تشيكي بيغيرستاين: «غابرييل هو من دون شك أحد أفضل المهاجمين الشبان في العالم، وبالتالي أن يلتزم بمستقبله (مع السيتي)، فذلك يشكل دفعاً كبيراً بالنسبة لنا».

والتحق البرازيلي البالغ 21 عاماً بالسيتي في كانون الثاني/يناير 2017، قادماً من بالميراس بعقد يمتد حتى 2021 مقابل 33 مليون يورو، إضافة إلى الحوافز والمكافآت.

الكرة اللاتينية

مدربان مؤقتان لمنتخب الأرجنتين

أُوكلت مهمة الإشراف على المنتخب الأرجنتيني الأول إلى ليونيل سكالوني وبابلو أيمار مدربَي منتخب دون الـ20 عاماً، بانتظار إيجاد خلف خورخي سامباولي، وذلك بحسب ما أعلن الاتحاد المحلي لكرة القدم.

وكشف رئيس الاتحاد الأرجنتيني كاملودو تابيا أنّ «المباريات الودية التي ستقام من الآن وحتى نهاية العام ستكون بإشراف سكالوني وأيمار»، مضيفاً: «نحن نبحث عن مشروع. سنأخذ الوقت اللازم للقيام بالخيار الجيد».

ويخوض المنتخب الأرجنتيني مبارياته الأولين بقيادة سكالوني وأيمار في الولايات المتحدة ضد غواتيمالا في 7 أيلول/سبتمبر في لوس أنجليس، وكولومبيا في 11 منه في نيويورك، في حين لم تحدد مبارياته الودية لشهري تشرين الأول/أكتوبر وتشرين الثاني/ نوفمبر.

وقرر الاتحاد الأرجنتيني في منتصف تموز/يوليو الماضي إقالة سامباولي من منصبه على خلفية المشاركة المخيبة للآمال في مونديال روسيا حيث عانى «البيسليستي» الأمرّين للتأهل عن مجموعته، ثم انتهى مشواره في ثمن النهائي على يد فرنسا (3-4) التي توجت لاحقاً باللقب.

وجاء «الطلاق» بين المنتخب ومدرب الشبيلية الإسباني باتفاق ودي يقضي بحصوله على تعويض قدره مليونا دولار، وذلك بدلاً من مبلغ يقدر ما بين 8 ملايين و20 مليوناً لو فسخ العقد بين الطرفين كما كان متفقاً عليه، حسب ما نقلته وسائل الإعلام المحلية.

والمفارقة أنّ سكالوني، اللاعب السابق لنيول أولد بويز ودييورتيفو لاكورونيا الإسباني وأيمار، اللاعب السابق لريفر بلايت وفالنسيا الإسباني، تسلما مهمة الإشراف على منتخب دون الـ20 عاماً قبل ثلاثة أسابيع فقط بعد استقالة مساعدي سامباولي. وسيحافظ هذا الثنائي على منصبهما السابق مع المنتخب الذي يخوض حالياً دورة في إسبانيا.

وترددت عدة أسماء لخلافة سامباولي، مثل ريكاردو غاريكا الذي قاد البيرو إلى بلوغ المونديال للمرة الأولى منذ 36 عاماً، وخوسيه بيكرمان الذي يشرف على تدريب كولومبيا وسبق له الإشراف على منتخب الأرجنتين عامي 2004 و2006، وماتياس ميدا (لاعب لانتسيو وانتر ميلان سابقاً) الذي قاد تشيفاش دي غواداالاخارا المكسيكي إلى الفوز بجميع الألقاب الممكنة محلياً وقارياً بعد أن أشرف أيضاً على تدريب ريفر بلايت.

لكن لا يبدو أنّ الاتحاد المحلي في عجلة من أمره ولا سيما أنّ الاستحقاق الرسمي المقبل سيكون في كوبا أميركا صيف 2019.

(الأخبار)

دحض الدعاية الصهيونيّة في وثائقي محطة «العربيّة» **نبذة عن النكبة** [2]

أسعد أبو خليك *

بوقاحة، يزعم الوثائقي-الدعائي، الذي بثّته «العربيّة» في حلقتيْن، أن وصول مهاجرين يهود إلى فلسطين في الثلاثينيّات قد «منح الاقتصاد دفعةً جديدة». لكن أي اقتصاد هو هذا؟ هناك كان -ولا يزال - اقتصاد لدولة ومجتمع الاحتلال، وهناك - في الجانب الآخر - اقتصادٌ منفصلٌ آخر للشعب الواقع تحت الاحتلال. وفي نفس المدة التي يتحدّث عنها التقرير، زاد الفقر في أوساط الشعب الفلسطيني لأنه كان يُطرد من أرضه في الريف عندما يتملّكها يهود، وكان المهجّرون من الريف الفلسطيني يواجهون «العمل العبري» (أي المقاطعة الصهيونيّة الصارمة لتوظيف عمّال عرب في المنشآت الاقتصاديّة اليهوديّة في المدن. لم يعنِ أي نفع اقتصادي للعرب من الهجرة اليهوديّة، على عكس ما تخيّل تيودور هرتزل في كتابه «الأرض القديمة-الجديدة»، الذي يتخيّل فيه وضع فلسطين عام 1923، ويسبغ على الدولة اليهوديّة صورة طوباويّة نافرة.

حرص الوثائقي على الإشارة إلى أن المهاجرين الجدد كانوا «مفكّرين ومهندسين وعلماء وفنّانين»، كأن ذلك يغيّر طبيعة المشروع الاحتلالي العنفي الذي انضمّوا إليه. وقد استوردت محطة «العربيّة» من هذا الوثائقي الفرنسي-الإسرائيلي الفصل العنصري بين العرب المتخلّفين وبين اليهود «الراقين»، فيتحدّث التقرير عن أماكن «راقية» في تل أبيب (رغم أنها كانت الوحيدة ذات أكثريّة يهوديّة) وعن أن المقاهي فيها كانت «على مستوى المقاهي في أوروبا». قد يكون القصد من وراء ذلك أن الشعب الفلسطيني كان يجب أن يقبل الاحتلال لأنه أقام مقاهي «ذات مستوى أوروبي». ما قيمة الوطن أمام مقاهٍ ذات مستوى أوروبي؟

أما تعريف المنظّمة الإرهابيّة «الهاغانا»، فكان أنها «الجماعة المسلّحة من أجل الدفاع عن اليهود في الفلسطينيّين». وبهذا التوصيف، يعتنق الوثائقي مشروع فرض الدولة اليهوديّة بالعنف ضدّ السكّان الأصليّين. هذا الوصف هو تبنٍّ كامل للإرهاب الصهيوني في مسيرة احتلال فلسطين. ولماذا تكون هناك حاجة إلى الدفاع عن النفس فيما كان السلّح هو في صلب المشروع الصهيوني اليهودي، ودور «الهاغانا» في إنشاء الدولة كمن منذ البداية في الهجوم وليس في الدفاع. والمسؤوليّة الكاملة عن أعمال العنف في فلسطين بين أعوام 1943 و1948 -حتى لا نتحدّث عمّا قبلها - تقع على «الهاغانا» وعلى «إرغون» وعصابة «شتيرن» اللتيْن انشقتا من رحم «هاغانا».[1] وتعود جذور «الهاغانا» إلى القرن التاسع عشر عندما أنشأ المهاجرون الصهاينة أولى المستوطنات الزراعيّة وأحاطوها بحرّاس مسلّحين. وتحوّل الحرّاس إلى ميليشيا مسلّحة ومنظمة بعد الحرب العالميّة الأولى. وخلافاً لمزاعم التقرير، كان هدف إنشاء وتسليح «الهاغانا» من أجل التحضير للاستيلاء على فلسطين بالقوّة المسلّحة وضدّ إرادة السكّان؛ وهذا كان بالضبط ما حدث على أرض فلسطين.

أما أن السلطات البريطانيّة «حظرت عملها» كما ورد في التقرير، فهذا غير دقيق. إن الحكومة الانتدابيّة سمحت للجيش الصهيوني الفلسطينيّ -لو أن الحسيني تحالف، مثلاً، مع روزفلت؟ والقيادة الفلسطينيّة التقليديّة، خلافاً للرواية السائدة، لم تكن انحيازها، إذ إنها تساهلت مع اليهود وتشدّدت كثيراً مع العرب، لكي تجعلهم عزْلاً أمام الهجمة الصهيونيّة والقمع البريطاني. ففي 1936، مثلاً، صادرت سلطات الاستعمار البريطاني 205 بندقيّات و108 مسدّسات و10185 ذخيرة للسلاح الفردي من العرب، فيما لم تصادر من اليهود إلا بندقيّتيْن و19 مسدّساً و264 ذخيرة للسلاح الفردي. أما في 1937، فصادرت تلك السلطات 1240 بندقيّة و1340 مسدّساً و20.732 ذخيرة للسلاح الفردي من العرب، فيما لم تصادر من اليهود إلا خمس بنادق و75 مسدّساً و1047 ذخيرة للسلاح الفردي.[2]

حتى حكومة الاحتلال البريطاني التي كانت مولجة بتطبيق وعد بلفور اعترفت في «ورقة بيضاء» أصدرتها عام 1946 أن «الهاغانا» تحوّلت إلى منظمة عسكريّة مسلّحة جيداً. وقالت إنها تضمّ في ما تضمّ: قوّة ثابتة بقوّة 40,000 عنصر، وجيشاً ميدانياً بقوّة 16,000 عنصر. وقوّة متفرّغة («بلماخ»)، وهي معبّاة باستمرار وتضم في حالة السلم 2000 عنصر، و6000 في حال الحرب. أليس من المخرّي أن تصف «العربيّة» في تقريرها الجيش المنظّم - الذي فاق في تنظيمه وتعداده مجمل «الجيوش العربيّة التي غزت فلسطين»، وفق الرواية الصهيونيّة المتضمّنة في التقرير - بأنه جماعة مسلّحة للدفاع عن النفس؟ أما قوّة «الإرغون»، وفق «الورقة البيضاء» البريطانيّة عينها، فكانت بقوّة 3000 إلى 5000 عنصر، فيما كانت عصابة «شتيرن» بقوّة 2000 إلى 300. هذا الإعداد لبناء جيوش لم يكن في حجمه أو تسليحه (طائرات في مرحلة لاحقة) بدافع الدفاع عن النفس.

> محطة محمد بن سلمان اعترفت بدولة الاحتلال الإسرائيلي قبل إنشائها

وفي إشارة إلى الثورة الفلسطينيّة في 1936-1939، اختصر التقرير مسبّباتها بعاملَيْن فقط: الهجرة اليهوديّة وبيع الأراضي، لكن اكتشاف تهريب هائل للسلاح إلى المستوطنين اليهود عبر مرفأ يافا عام 1935 أشعل غضباً فلسطينيّاً عارماً، لأنه كشف نيات المخطّط الصهيوني المسلّح، كما كشف التواطؤ البريطاني معه. وكان التقدير البريطاني في تقرير رسمي في عام 1937 أنه كان عند اليهود ما يكفي لتسليح وتجهيز جيش كامل من عشرة آلاف جندي.[3]

ولا يمكن طبعاً إغفال الحديث عن الحاج أمين الحسيني في الروايات الصهيونيّة، إذ يصبح هو مُرتكب النكبة، أو يصبح كما زعم بنيامين نتنياهو قبل سنة أنه مُرتكب المحرقة ومُخطّطها، وأن هتلر بريء من فكرتها. وأتوا بمؤرّخ إسرائيلي كي يفتي أن تعاطف الحسيني مع ألمانيا لم يكن بسبب عداء ألمانيا لبريطانيا، بل لأنه تعاطف شخصيّاً مع العقيدة النازيّة. لكن هذه الفكرة مضحكة للغاية، أن يكون عربيٌّ مُتعاطفاً مع عقيدة تأسست على فكرة تفوّق العرق الآري، فيما وصف مؤسّس النازيّة، هتلر نفسه، العرب بأنهم «أنصاف قرود مصبوغين». ما معنى تعاطف عربي مع عقيدة لا تكنّ للعرب إلا الاحتقار؟ إن هذا القول أشبه بالقول إن تحالف الحكومة الأميركيّة مع الاتحاد السوفياتي في الحرب العالميّة الثانية كان بناء على تعاطف أميركي مع الشيوعيّة، وليس بناء على مبدأ

> محطة محمد بن سلمان اعترفت بدولة الاحتلال الإسرائيلي قبل إنشائها

«عدوّ عدوّي صديقي»، وهو المبدأ الذي دفع الحاج أمين للتواصل مع هتلر، على ما في هذا التواصل من ضرر للقضيّة الفلسطينيّة. لكن هل الحركة الصهيونيّة والغرب برمّته كانوا سيتعاطفون مع الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة لو أن الحسيني تحالف، مثلاً، مع روزفلت؟ والقيادة الفلسطينيّة التقليديّة، خلافاً للرواية السائدة، لم تكن انحيازها، إذ إنها تساهلت مع اليهود وتشدّدت كثيراً مع العرب، لكي تجعلهم عزْلاً أمام الهجمة الصهيونيّة والقمع البريطاني. ففي 1936، مثلاً، صادرت سلطات الاستعمار البريطاني 205 بنادق و108 مسدّسات و10185 ذخيرة للسلاح الفردي من العرب، فيما لم تصادر من اليهود إلا بندقيّتيْن و19 مسدّساً و264 ذخيرة للسلاح الفردي. أما في 1937، فصادرت تلك السلطات 1240 بندقيّة و1340 مسدّساً و20.732 ذخيرة للسلاح الفردي من العرب، فيما لم تصادر من اليهود إلا خمس بنادق و75 مسدّساً و1047 ذخيرة للسلاح الفردي.[2]

حتى حكومة الاحتلال البريطاني التي كانت مولجة بتطبيق وعد بلفور اعترفت في «ورقة بيضاء» أصدرتها عام 1946 أن «الهاغانا» تحوّلت إلى منظمة عسكريّة مسلّحة جيداً. وقالت إنها تضمّ في ما تضمّ: قوّة ثابتة بقوّة 40,000 عنصر، وجيشاً ميدانياً بقوّة 16,000 عنصر. وقوّة متفرّغة («بلماخ»)، وهي معبّاة باستمرار وتضم في حالة السلم 2000 عنصر، و6000 في حال الحرب. أليس من المخرّي أن تصف «العربيّة» في تقريرها الجيش المنظّم - الذي فاق في تنظيمه وتعداده مجمل «الجيوش العربيّة التي غزت فلسطين»، وفق الرواية الصهيونيّة المتضمّنة في التقرير - بأنه جماعة مسلّحة للدفاع عن النفس؟ أما قوّة «الإرغون»، وفق «الورقة البيضاء» البريطانيّة عينها، فكانت بقوّة 3000 إلى 5000 عنصر، فيما كانت عصابة «شتيرن» بقوّة 2000 إلى 300. هذا الإعداد لبناء جيوش لم يكن في حجمه أو تسليحه (طائرات في مرحلة لاحقة) بدافع الدفاع عن النفس.

وفي إشارة إلى الثورة الفلسطينيّة في 1936-1939، اختصر التقرير مسبّباتها بعاملَيْن فقط: الهجرة اليهوديّة وبيع الأراضي. لكن اكتشاف تهريب هائل للسلاح إلى المستوطنين اليهود عبر مرفأ يافا عام 1935 أشعل غضباً فلسطينيّاً عارماً، لأنه كشف نيات المخطّط الصهيوني المسلّح، كما كشف التواطؤ البريطاني معه. وكان التقدير البريطاني في تقرير رسمي في عام 1937 أنه كان عند اليهود ما يكفي لتسليح وتجهيز جيش كامل من عشرة آلاف جندي.[3]

ولا يمكن طبعاً إغفال الحديث عن الحاج أمين الحسيني في الروايات الصهيونيّة، إذ يصبح هو مُرتكب النكبة، أو يصبح كما زعم بنيامين نتنياهو قبل سنة أنه مُرتكب المحرقة ومُخطّطها، وأن هتلر بريء من فكرتها. وأتوا بمؤرّخ إسرائيلي كي يفتي أن تعاطف الحسيني مع ألمانيا لم يكن بسبب عداء ألمانيا لبريطانيا، بل لأنه تعاطف شخصيّاً مع العقيدة النازيّة. لكن هذه الفكرة مضحكة للغاية، أن يكون عربيٌّ مُتعاطفاً مع عقيدة تأسست على فكرة تفوّق العرق الآري، فيما وصف مؤسّس النازيّة، هتلر نفسه، العرب بأنهم «أنصاف قرود مصبوغين». ما معنى تعاطف عربي مع عقيدة لا تكنّ للعرب إلا الاحتقار؟ إن هذا القول أشبه بالقول إن تحالف الحكومة الأميركيّة مع الاتحاد السوفياتي في الحرب العالميّة الثانية كان بناء على تعاطف أميركي مع الشيوعيّة، وليس بناء على مبدأ

> محطة محمد بن سلمان اعترفت بدولة الاحتلال الإسرائيلي قبل إنشائها

«عدوّ عدوّي صديقي»، وهو المبدأ الذي دفع الحاج أمين للتواصل مع هتلر، على ما في هذا التواصل من ضرر للقضيّة الفلسطينيّة. لكن هل الحركة الصهيونيّة والغرب برمّته كانوا سيتعاطفون مع الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة لو أن الحسيني تحالف، مثلاً، مع روزفلت؟ والقيادة الفلسطينيّة التقليديّة، خلافاً للرواية السائدة، لم تكن انحيازها، إذ إنها تساهلت مع اليهود وتشدّدت كثيراً مع العرب، لكي تجعلهم عزْلاً أمام الهجمة الصهيونيّة والقمع البريطاني. ففي 1936، مثلاً، صادرت سلطات الاستعمار البريطاني 205 بنادق و108 مسدّسات و10185 ذخيرة للسلاح الفردي من العرب، فيما لم تصادر من اليهود إلا بندقيّتيْن و19 مسدّساً و264 ذخيرة للسلاح الفردي. أما في 1937، فصادرت تلك السلطات 1240 بندقيّة و1340 مسدّساً و20.732 ذخيرة للسلاح الفردي من العرب، فيما لم تصادر من اليهود إلا خمس بنادق و75 مسدّساً و1047 ذخيرة للسلاح الفردي.[2]

حتى حكومة الاحتلال البريطاني التي كانت مولجة بتطبيق وعد بلفور اعترفت في «ورقة بيضاء» أصدرتها عام 1946 أن «الهاغانا» تحوّلت إلى منظمة عسكريّة مسلّحة جيداً. وقالت إنها تضمّ في ما تضمّ: قوّة ثابتة بقوّة 40,000 عنصر، وجيشاً ميدانياً بقوّة 16,000 عنصر. وقوّة متفرّغة («بلماخ»)، وهي معبّاة باستمرار وتضم في حالة السلم 2000 عنصر، و6000 في حال الحرب. أليس من المخرّي أن تصف «العربيّة» في تقريرها الجيش المنظّم - الذي فاق في تنظيمه وتعداده مجمل «الجيوش العربيّة التي غزت فلسطين»، وفق الرواية الصهيونيّة المتضمّنة في التقرير - بأنه جماعة مسلّحة للدفاع عن النفس؟ أما قوّة «الإرغون»، وفق «الورقة البيضاء» البريطانيّة عينها، فكانت بقوّة 3000 إلى 5000 عنصر، فيما كانت عصابة «شتيرن» بقوّة 2000 إلى 300. هذا الإعداد لبناء جيوش لم يكن في حجمه أو تسليحه (طائرات في مرحلة لاحقة) بدافع الدفاع عن النفس.

وفي إشارة إلى الثورة الفلسطينيّة في 1936-1939، اختصر التقرير مسبّباتها بعاملَيْن فقط: الهجرة اليهوديّة وبيع الأراضي. لكن اكتشاف تهريب هائل للسلاح إلى المستوطنين اليهود عبر مرفأ يافا عام 1935 أشعل غضباً فلسطينيّاً عارماً، لأنه كشف نيات المخطّط الصهيوني المسلّح، كما كشف التواطؤ البريطاني معه. وكان التقدير البريطاني في تقرير رسمي في عام 1937 أنه كان عند اليهود ما يكفي لتسليح وتجهيز جيش كامل من عشرة آلاف جندي.[3]

ولا يمكن طبعاً إغفال الحديث عن الحاج أمين الحسيني في الروايات الصهيونيّة، إذ يصبح هو مُرتكب النكبة، أو يصبح كما زعم بنيامين نتنياهو قبل سنة أنه مُرتكب المحرقة ومُخطّطها، وأن هتلر بريء من فكرتها. وأتوا بمؤرّخ إسرائيلي كي يفتي أن تعاطف الحسيني مع ألمانيا لم يكن بسبب عداء ألمانيا لبريطانيا، بل لأنه تعاطف شخصيّاً مع العقيدة النازيّة. لكن هذه الفكرة مضحكة للغاية، أن يكون عربيٌّ مُتعاطفاً مع عقيدة تأسست على فكرة تفوّق العرق الآري، فيما وصف مؤسّس النازيّة، هتلر نفسه، العرب بأنهم «أنصاف قرود مصبوغين». ما معنى تعاطف عربي مع عقيدة لا تكنّ للعرب إلا الاحتقار؟ إن هذا القول أشبه بالقول إن تحالف الحكومة الأميركيّة مع الاتحاد السوفياتي في الحرب العالميّة الثانية كان بناء على تعاطف أميركي مع الشيوعيّة، وليس بناء على مبدأ

> محطة محمد بن سلمان اعترفت بدولة الاحتلال الإسرائيلي قبل إنشائها

«عدوّ عدوّي صديقي»، وهو المبدأ الذي دفع الحاج أمين للتواصل مع هتلر، على ما في هذا التواصل من ضرر للقضيّة الفلسطينيّة. لكن هل الحركة الصهيونيّة والغرب برمّته كانوا سيتعاطفون مع الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة لو أن الحسيني تحالف، مثلاً، مع روزفلت؟ والقيادة الفلسطينيّة التقليديّة، خلافاً للرواية السائدة، لم تكن انحيازها، إذ إنها تساهلت مع اليهود وتشدّدت كثيراً مع العرب، لكي تجعلهم عزْلاً أمام الهجمة الصهيونيّة والقمع البريطاني. ففي 1936، مثلاً، صادرت سلطات الاستعمار البريطاني 205 بنادق و108 مسدّسات و10185 ذخيرة للسلاح الفردي من العرب، فيما لم تصادر من اليهود إلا بندقيّتيْن و19 مسدّساً و264 ذخيرة للسلاح الفردي. أما في 1937، فصادرت تلك السلطات 1240 بندقيّة و1340 مسدّساً و20.732 ذخيرة للسلاح الفردي من العرب، فيما لم تصادر من اليهود إلا خمس بنادق و75 مسدّساً و1047 ذخيرة للسلاح الفردي.[2]

حتى حكومة الاحتلال البريطاني التي كانت مولجة بتطبيق وعد بلفور اعترفت في «ورقة بيضاء» أصدرتها عام 1946 أن «الهاغانا» تحوّلت إلى منظمة عسكريّة مسلّحة جيداً. وقالت إنها تضمّ في ما تضمّ:

يميّز التقرير بين الإرهاب الصهيوني، فيفصل بين «الهاغاناه» و«الإرغون» و«شتيرن» (أ ف ب)

حنة أرندت بجرأة في كتابها «إيخمان في القدس»، ما أثار حفيظة صهاينة أميركا وإسرائيل ضدّها. إن هذا الموضوع من المحرّمات وإن تطرّق إليه عدد من المؤرّخين الشجعان، مثل ليني برنر.[7] وقد كرّس محمود عبّاس موضوع أطروحته للدكتوراه في جامعة «باتريس لومومبا للتضامن بين الشعوب» في موسكو[8] لتلك العلاقة، لكن عبّاس جاهل ويفتقر إلى العلم والمعرفة، وهو من فنكري المحرقة (واستشهد في أطروحته بمعادي السامية الكريه، روبرت فوريسون، لإثبات استعمال غازات الإبادة في معسكرات الاعتقال النازي)، ولهذا لا يُعوّل عليه في التاريخ (أو السياسة) خصوصاً أنه نسب زوراً قول «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» إلى هرتزل[9]، في حين أن القولَ المذكور عمّمه الصهيوني، إسرائيل زنغويل، وإن أقرّ باستعارته من اللورد البريطاني، شافتسبري.[10]

ويكرّر التقرير اللازمة الصهيونيّة عن إغلاق بريطانيا الحدود الفلسطينيّة أمام اللاجئين اليهود الهاربين من ألمانيا النازيّة (كأن الشعب الفلسطيني كان ملزماً استقبال اللاجئين لضمّهم إلى مشروع صهيوني يستهدف القضاء على الوطن الفلسطيني، كان النازيّة كانت شنيعة فلسطينيّة). لكن التقرير لم يذكر أن التاريخيّ لتلك المرحلة يميّز بين اللاجئين «الشرعيّين» - أي الذين لجؤوا إلى فلسطين بإذن الاستعمار البريطاني - واللاجئين غير الشرعيّين الذين كانوا يُهرّبون عبر الحدود مع لبنان مثلاً. وقد قابلتُ مزارعين مسنّين في الثمانينيّات من القرن الماضي في قرى صور حيث أعترف بعضهم بمساهمة في تهريب مهاجرين يهود مقابل نقود أجنبيّة. أما عن «الكتاب الأبيض» في عام 1939، الذي أصدرته الحكومة البريطانيّة ردّاً على ثورة شعب فلسطين، فقال التقرير إنه «يحدّ كثيراً» عددَ المهاجرين اليهود إلى فلسطين. يحدّ كثيراً؟ بأي معيار؟ المقترح البريطاني الأصلي في الكتاب المذكور سمح بدخول 25 ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين مع وضع كوتا بـ15,000 سنويّاً على مدى خمس سنوات (أي 75,000 على مدى السنوات الخمس المقبلة)، على أن تكون الموافقة العربيّة شرطاً للدخول اليهودي بعد ذلك. أي إن الدخول اليهودي المهاجر إلى فلسطين على مدى خمس سنوات سيكون قسراً ورغماً عن أنف السكان الأصليّين.[11] وأهمل «الكتاب الأبيض» موضوع تسرّب عدد كبير من المهاجرين «غير الشرعيّين» إلى فلسطين (كان الغزوة الصهيونيّة لأرض فلسطين بمباركة الاستعمار البريطاني كانت شرعيّة).

وكما أن التقرير على محطة «العربيّة» زوّر في نصّ وعد بلفور لخدمة الدعاية الصهيونيّة التي تشكّل محور ودافع الوثائقي، فإنه زيّف بشكل مفضوح أيضاً نصّ «الكتاب الأبيض» البريطاني عندما يروي أنه جاء لـ«يؤكّد بحزم أن نيّتهم (أي البريطانيّين) لم تكن إنشاء دولة يهوديّة في فلسطين». لا، لم يرد ذلك في تقرير الحكومة البريطانيّة على الإطلاق. كان كلام الحكومة البريطانيّة واضحاً في هذا الشأن، وإن كان مُخادعاً كالعادة. هو نفى فقط أن تكون نيّة الحكومة البريطانيّة «تحويل» كل فلسطين إلى دولة يهوديّة ضد إرادة السكّان العرب، أي إنها كانت تنفي فقط منح كل فلسطين لليهود أو أنها تفرض على العرب العيش تحت حكم دولة يهوديّة. لكن صياغة التقرير لم تنفِ نيّة إقامة وطني لليهود على أرض فلسطين. فات ذلك التقرير المغرض، الذي سمح لـ«الخبراء» الصهاينة الإسرائيلي في التقرير بالإشارة إلى فلسطين في عهد الانتداب كـ«أرض إسرائيل»، أي إن محطة محمد بن سلمان اعترفت بدولة الاحتلال الإسرائيلي قبل إنشائها.

والمفارقة في التقرير أنه يستفيض في وصف الوحشيّة النازيّة ضد اليهود، ويتناسى أنه كانت هناك وحشيّة بريطانيّة وصهيونيّة ضد العرب على أرض فلسطين في نفس تلك الحقبة التاريخيّة. لكن معيار الوثائقي هو على مقاس الدعاية الصهيونيّة الغربيّة والإسرائيليّة: اليهود وحدهم ضحايا، ولا يمكن أن يكون العرب ضحايا مثلهم، لأنهم ينتمون إلى درجة متدنيّة من العنصر البشري. والتعاطف في التقرير مع الصهيونيّة يصل إلى جعل المشاهد (المشاهدات عورات في حكم آل سعود) يتعاطف مع اليهود الذين يصوّر التقرير محنتهم بأن فلسطين فقط كانت الحلّ الوحيد والضروري لمشكلة الشتات اليهودي، كأنه لم يكن هناك بلدان أخرى يمكن أن تستضيف اللاجئين اليهود، خصوصاً الدول الغربيّة التي لها سجلّ حافل في تاريخ من معاداة اليهود وارتكاب الجرائم ضدّهم. كان بإمكان حكومات الغرب، مثلاً، فرض عودة اليهود إلى ألمانيا التي تتحمّل أكثر من غيرها وزر الجرائم ضد اليهود، وإن كانت دول أوروبيّة أخرى -والكنيسة - تتحمّل هي الأخرى المسؤوليّة عن تاريخ من القتل والقمع والذمّ ضد اليهود.

لكن ورطة النظام السعودي من وراء نشر التقرير كبيرة: عوّل على أن التركيز على معاناة اليهود في الحرب العالميّة الثانية -وهي معاناة حقيقيّة وأكيدة وفظيعة - يمكن أن يؤدّي إلى تفهّم المشاهد منطق الصهيونيّة في الاستيلاء على الوطن الفلسطيني وطرد أهله العرب. لكن هذه قد تسري على الجمهور الغربي (وهي تسري بدرجة أقل هذه الأيّام) الذي لا يعرف الخلفيّة التاريخيّة للصراع العربي-الفلسطيني. لكن كيف يمكن أن تسري هذه على الجمهور العربي الذي يعرف الخلفيّة التاريخيّة للقضيّة الفلسطينيّة؟

أما خلفيّة الانسحاب البريطاني من فلسطين، فكانت وفق التقرير إصرار «المنظمّات اليهوديّة» على رفض الحكم البريطاني، كان الشعب الفلسطيني كان كومبارساً في هذه الحكاية. ولا يرد في التقرير ما يرد في كتب التاريخ الغربيّة عن إرهاب المنظمات الصهيونيّة التي أدخلت كل أعمال وأنساق الإرهاب التي يعاني منها الشرق الأوسط اليوم. حتى المؤرّخ الصهيوني، والتر لاكير، في كتابه عن تاريخ الصهيونيّة، يذكر إرهاب المنظمّات الصهيونيّة بدءاً من الثلاثينيّات من القرن الماضي.[12] يعترف الصهيوني لاكير في كتابه أن المنظمات اليهوديّة كانت مسؤولة عن «رمي قنابل بصورة عشوائيّة في الأسواق العربيّة ومحطات الحافلات».[13] تغافل التقرير عن كل هذا الإرهاب، كان الضحايا العرب لم يعنِ لهم شيئاً على الإطلاق.

والكلام في التقرير عن أن التعاطف مع اليهود هو الذي أدّى إلى قرار الجمعيّة العامة للأمم المتحدة إنشاء دولة يهوديّة كلام باطل، كما أوردتُ في الحلقة الأولى. لم يكن التعاطف له علاقة، وكان التعاطف مع الضحايا اليهود في أوروبا لا يمكن له أن يُترجم إلا بإنشاء دولة يهوديّة على أرض فلسطين وطرد السكّان الأصليّين منها. وساهم إلياس صنبر (الذي وصف حاييم وايمزمن بـ«المسالم» أو «اللاعنفي») في إعداد عرض التقرير عبر لوم القيادة الفلسطينيّة لعدم اتخاذها المحرقة في الحسبان، كأن دول الغرب أنشأت دولة يهوديّة على أرض فلسطين ووافقت على طرد السكّان الأصليّين لأسباب إنسانية محض. واستعان التقرير بسري نسيبة وإلياس صنبر وعميرة هاس للقول إن الغرب ارتكبوا خطأً كبيراً برفض قرار تقسيم فلسطين عام 1947. لكن كيف يُلام الشعب الفلسطيني على رفض تقسيم أرضه ومنح اليهود (وجلّهم من المهاجرين الجدد) أكثر من نصف فلسطين (حيث الأراضي الأكثر خصوبة)، فيما كان الشعب الفلسطيني يشكّل أكثريّة السكّان ويملك أكثر من 90% من الأرض؟ على العكس، كان من الجنون أن يقبل شعب فلسطين والعرب هذا القرار الجائر، ولو اختلفت عميرة هاس أو غيرها مع الحق الفلسطيني.

والتقرير يرى (حسب آراء الإسرائيليّين المشاركين فيه لأنهم شكّلوا فريق الحَكَم في الموضوع) أن الصراع بين العرب واليهود لم يبدأ إلا بعد قرار التقسيم لأن العرب رفضوا القرار. لكن الإرهاب الصهيوني ضد العرب بدأ في العشرينيّات وتنامى كثيراً وتنظّم في الثلاثينيّات. لم يذكر التقرير أن ثلاثة آلاف عربي قُتلوا في ثورة 1936. لم تكن هناك حقبة في تاريخ الوجود الصهيوني على أرض فلسطين إلا وكان العنف سمةً من سمات الانتشار اليهودي المهاجر فيها. وكان اليهود يتعاملون مع الشعب الفلسطيني على أساس أن العنف سيفرض عليهم ما لم (ولن) يقبلوه طوعاً.

> معيار الوثائقي على مقاس الدعاية الصهيونيّة: اليهود وحدهم ضحايا

ويميّز التقرير بين الإرهاب الصهيوني فيفصل بين «الهاغاناه» (صاحبة الدور الأكبر في الإجرام الإرهابي الذي فرض تأسيس دولة احتلاليّة على أرض فلسطين) وبين «الإرغون» و«شتيرن» (التقرير يعطيها الاسم الأكثر احتراماً لها، أي «ليهاي»، لكن الراوي يخطئ لفظها بالعربيّة). وعلى الأرض، كانت المنظمّات الإرهابيّة الصهيونيّة الثلاث تتعاون في كثير من الأحيان، خلافاً لمنحى التقرير. (14) وكان يتم تخصيص العمل (أي الإرهاب) بين التنظيمات، فكانت «شتيرن» و«الإرغون» مثلاً تتخصّص في أعمال تفجير عشوائي في أماكن مكتظّة بالعرب. ولا يمكن المقارنة في الأعمال الحربيّة بين الطرف اليهودي والطرف العربي، إذ إن اليهودي استفاد من تشكيل قوّة عسكريّة يهوديّة لمساندة الجيش البريطاني في الحرب العالميّة الثانية، كما أن استيراد السلاح - الممنوع على العرب - كان متوفّراً لليهود. ويقلّل التقرير من عدد ضحايا دير ياسين فيقول إن 200 منهم قد سقطوا (لا يذكر أنهم رجال ونساء وأطفال وأن القرية كانت في حالة عدم اعتداء مع «الهاغاناه»). لكن مناحيم بيغن اعترف بقتل 240، فيما ذكرت «نيويورك تايمز» أن 254 سقطوا ضحايا في القرية.[15] وخلافاً لتبرئة «الهاغاناه» في التقرير من دير ياسين، فإنها شاركت في ضخ الدعاية عن المجزرة لتخويف العرب وطردهم. أما عن «الغزوة» العربيّة - وفق لغة التقرير - لفلسطين عام 1948، فهذه ستلي في الحلقة المقبلة.

(يتبع)

المراجع

(1) سامي هداوي، «الحصاد المرّ»، ص. 51.

(2) راجع ملحق 3 في كتاب «من الماوى إلى الاحتلال»، تحرير وليد الخالدي، ص. 845. هذا المجلّد الضخم عن النكبة هو أفضل مرجع وإن لا يزال غير متوفّر باللغة العربية للأسف الشديد.

(3) ياميلا آن سميث، «فلسطين والفلسطينيّون»، ص. 63.

(4) يذكر غسان كنفاني ذلك في كتيّبه، «ثورة 1936-1939 في فلسطين».

(5) يبقى كتاب فيليب مطر عن الحاج أمين الحسيني أفضل مِن كل ما كُتب عنه، ولم يتأثّر لا بالروايات الدعائيّة العربيّة أو الغربيّة عنه.

(6) راجع ديفيد هرست، «البندقيّة وغصن الزيتون»، ص.82.

(7) درس الكاتب الأميركي ليني برنر تلك العلاقة ونشر وثائقها. راجع كتابه: «51 وثيقة: التعامل الصهيوني مع النازيّة».

(8) الطريف أن عبّاس لم يدرس اللغة الروسية لنيل تلك الشهادة التي لم يستحقّها وتحادث مع المُشرف عليه بالأطروحة بالعربيّة والإنكليزيّة التي لا يجيدها. هذه الأطروحة هي مثل أطروحة رفعت الأسعد. وقد نُشرت الأطروحة بالعربيّة بعنوان: «الوجه الآخر: العلاقات السريّة بين النازيّة والصهيونيّة»، عمّان، 1984.

(9) راجع كتاب محمود عبّاس المُترجم إلى الإنكليزيّة، «عبر أقنية سريّة»، ص. 207 وص. 217.

(10) راجع مقالة آدام غرفنكل، «أصل ومعنى واستعمال وإساءة استعمال عبارة»، «ميدل إيسترن ستاديز»، تشرين الأول 1991، مجلّد 27.

(11) راجع كتاب تشارلز دي سميث، «فلسطين والصراع العربي - الإسرائيلي»، ص. 147.

(12) والتر لاكير، «تاريخ للصهيونيّة».

(13) المرجع نفسه، ص. 375.

(14) راجع كتاب تشارلز دي سميث، ص. 185.

(15) راجع عدد «نيويورك تايمز»، 13 نيسان، 1948.

* كاتب عربي (موقعه على الإنترنت: angryarab.blogspot.com)

صراع على السلطة لا على السياسات والتوازنات فقط

سعد الله مزرعاني *

يعكس تعثّر تشكيل الحكومة، بعد أكثر من مرور شهرين على التكليف، صراعاً ضارياً، وبشكل بالغ الفجاجة غالباً، على السلطة والمواقع والحقائب والنفوذ... يشكّل هذا الصراع امتداداً «طبيعياً» لصراع كان قد اندلع خلال الحرب الأهلية، وخصوصاً بعد انسحاب القوات السورية (مرغمة) من لبنان في أواخر نيسان عام 2005. يومها حصل فراغ كبير نتيجة هذا الانسحاب. كانت القيادة السورية هي من تولّى، وبشكل متصاعد، إدارة الشأن اللبناني. أحكم ممثلوها، تباعاً، قبضتهم السياسية والأمنية، خصوصاً، على مواقع القرار والمؤسسات اللبنانية. كان الأمر على هذا النحو، استناداً إلى صفقة انطلقت من إقرار «اتفاق الطائف» عام 1989 وتعزّزت بالتحالف الدولي والإقليمي ضد غزو العراق للكويت، ثم توطّدت بعلاقات شراكة وتعاون سعودية. سورية حظيت، عموماً، بدعم أميركي استمر قائماً حتى غزو واشنطن وحلفائها للعراق في نيسان من عام 2003. يمكن اعتبار أن الغزو الأميركي قد أطلق مرحلة نوعية من الصراع على السياسيات في المنطقة ومنها السياسات اللبنانية، وخصوصاً منها سياسات لبنان الخارجية. تقدم يومها، العامل الخارجي وبات هو الأهم بسبب الغزو الأميركي للعراق وقبله لأفغانستان واللذين اندرجا في السعي لبسط وتوطيد النفوذ الأميركي، بالقوة والغزو، عبر «مشروع الشرق الأوسط الجديد»، على كامل الإقليم الممتد من موريتانيا إلى الباكستان.

الخروج السوري من لبنان وفيه وازنتُهُ، بعد أكثر من سنة، هزيمة عدوان إسرائيل على لبنان في تموز وآب من عام 2006. قبل ذلك لم يملأ أحد فراغ الخروج السوري. استبدال «عوكر» (مقر السفارة الأميركية في لبنان) بـ«عنجر» مقر المخابرات السورية، لم يتوطّد على نحو يتحول إلى قاعدة للحكم والسلطة، بديلاً، من القاعدة السورية. اندلع صراع شابه الكثير من المساومات والتسويات خصوصاً، بعد دخول «التسونامي» العوني إلى المعادلة الداخلية (إثر عودة العماد عون من منفاه الباريسي بعد اغتيال الحريري) محمّلاً بمشروع طموح لاستعادة الدور (وحتى السلطة) بالتحالف مع سوريا هذه المرة على خلاف ما كان الوضع عليه قبل 15 سنة حين قصفت الطائرات السورية القصر الجمهوري لقمع «تمرد» الرئيس عون. كان الجنرال عون قائداً للجيش جرى تعيينه، دون توافق، رئيساً لحكومة إنتقالية كان من صلاحياتها ممارسة مهام رئيس الجمهورية بعد مغادرة الرئيس أمين الجميل للمنصب دون انتخاب خلف له.

حاولت القوى التي تأقلمت مع الإدارة السورية وشكّلت قاعدة حكمها أن تستأثر بالسلطة بعد الانسحاب السوري. هذا ما كرسته انتخابات عام 2005 بعد الانسحاب السوري واستمرار «الحلف الرباعي» على ما كان عليه قبل الانسحاب. لم يتوفر للبنانيين في مجرى سنتي ما بعد الانسحاب السوري صيغة ذاتية ومنطقية لممارسة السلطة والحكم وفق ما كان يربطن به أصحاب شعارات السيادة والحرية والإستقلال. كانت القوى السياسية تراوح في الانتقال من وصاية إلى وصاية. تفجّر الوضع الإقليمي وانتهاء التسويات والصفقات التي استمر

الحدث

الشمال السوري: ميزان «الحرب والسلم»

صهيب عنجريني

على امتداد الأزمة السوريّة، احتفظ الشمال بثقلٍ خاصّ في كل الملفّات والمراحل. ورغم أنّ كلّ واحدة من الجهات الحدوديّة الأربع تصدّرت واجهة المشهد في بعض المراحل، انطلاقاً من خصوصيّة تميزها، فإنّ تعقيدات الشمال ظلّت باستمرار حاضرة ومؤثّرة. الثقل الاستثنائي الذي حظي به الشمال السوري في إذكاء نار الحرب، يفرض نفسه اليوم على مفترق الطرق الأخير ويستعدّ للعب دور يتجاوز مستقبل «الحرب والسلم» إلى مستقبل البلاد برمّتها. ثمّة أربع بؤر شماليّة، لكلّ منها تعقيداتها الخاصّة بها، والمتداخلة في الوقت نفسه مع تعقيدات البؤر الأخرى. تفرض «قوّات سوريا الديمقراطيّة» سيطرةً متصلة على بؤرة تمتدّ من منبج (ريف حلب الشمالي الشرقي) إلى عين ديوار (ريف الحسكة الشمالي الشرقي)، وتتداخل تعقيدات هذه البؤرة بتعقيدات ملفّ الشرق السوري ووجود قواعد الاحتلال الأميركي، كذلك تتداخل في الوقت نفسه بتعقيدات المناطق المحتلّة تركياً. وتتوزّع الأخيرة على بؤرتين: مناطق «درع الفرات»، ومناطق «غصن الزيتون»، ولكلٍّ منهما ظروفها ومعطياتها الخاصّة، سواء من حيث ماهيّة المجموعات المسلّحة المنتشرة فيها، أو ديموغرافيّة السكّان وميولهم السياسيّة. أمّا رابعة البؤر، وأشدّها تعقيداً، فهي «بؤرة إدلب» بما تضمّه من تنظيمات «جهاديّة» ومجموعات «إسلاميّة» سوريّة، ومسلّحين قادمين من معظم الجبهات السوريّة من رافضي التسويات، واكتظاظٍ مدنيّ كبير. علاوةً على نقاط المراقبة التركيّة، ونقاط المراقبة الإيرانيّة والروسيّة المنتشرة في محيطها، ومناطق استعادة الجيش السوري السيطرة عليها في مطلع العام الحالي. ويشكّل الوجود «القاعدي» في إدلب تفصيلاً جوهريّاً بالغ الأهميّة، ويترك الباب مفتوحاً أمام «مشهد أخير» مؤجّل قد يجمعُ كل النقائض في مواجهة «الجهاد العالمي». ولا تقتصر منعكسات هذه التعقيدات على المشهد الميداني، بل تتعدّاه إلى نظيره السياسيّ بما يخفيه وراء الأبواب المغلقة من تفاهمات وتقاطعات مصالح، و«تحت الطاولات» من صفقات مُعدّة أو في طور الإعداد. وتعي دمشق أنّ «النصرة» ونظراءها باتوا «مشكلة تركيّة» بقدر ما هي مشكلة سوريّة، إن لم يكن أكثر. ويبدو أنّ معسكر دمشق وحلفائها قد أفلح في تحويل ملف «الجهاد في إدلب» إلى مشكلة «عالميّة» تجعل كلّ اللاعبين ملزمين في مرحلة ما بلعب دور في التصدّي لها، على نحو يستحضرُ تجربة تقويض نفوذ «داعش». فيما تفرض مناطق «درع الفرات» نفسها (وبدرجة أقل «غصن الزيتون») بوصفها «مربط فرس» في مستقبل الحرب السوريّة ومآلاتها النهائيّة، سواءٌ أكانت السطور الأخيرة عسكريّة الطابع أم سياسيّة.

إدلب: «التحرير المتدرّج» بالنار أو بالتفاهمات

الجاهزيّة العالية في معسكر الجيش السوري وحلفائه توحي بأنّ العدّ العكسي لـ«معركة إدلب» قد بدأ فعلاً. لكنّ تعقيدات إدلب تبدو أكبر بكثير من كلّ ما سبقها من جبهات. ومن المرجّح وفق المعطيات المتوافرة أنّ المعركة الموعودة لن تُخاض بوصفها «معركة شاملة». وإذا ما دقّت «الساعة الصفر» قريباً، فإنّ الهدف المتوخّى تحقيقه في المرحلة الرّاهنة سيكونُ بسط الجيش السوري سيطرته على أجزاء من محافظة إدلب، لا كاملها. ومنحت جولة «أستانا» الأخيرة فرصةً جديدة لأنقرة لتنفيذ التزاماتٍ سابقة، كشرط أساسي لتجميد دمشق وحلفائها جبهة إدلب مرحليّاً

صهيب عنجريني

«معركة إدلب» الموعودة قادمةٌ حتماً، لكنّها دخلت مجدّداً في احتمالات متباينة في ما يخصّ مواقيتها. وإذا كانت المؤشّرات المتزايدة توحي بأنّها ستكون «أم المعارك»، فإنّ الإجابة عن سؤال مثل «مَن سيقاتل مَن في إدلب؟» تستحقّ أن توصف مجازاً بـ«أم الإجابات». ويبدو هذا السؤال واجبَ الطرح بفعل أسباب كثيرة، من بينها تعقيد المشهد الميداني في المحافظة وسيطرة مجموعات «جهاديّة» على أجزاء واسعة منها. لكنّ السبب الذي يفوق ما سبقه أهميّة هو الدور الذي يُنتظر أن تلعبه «معركة إدلب» في التمهيد لإقفال ملفّات الحرب السوريّة نهائياً، ما يُعزّز أهميّة توافق معظم (إن لم يكن كل) اللاعبين الإقليميين والدوليين على خريطة المعركة ومساراتها ومواقيت مراحلها. وينبغي التنبّه إلى أنّ معركة إدلب بالمعنى «اللوجيستي» كانت قد بدأت بالفعل قبل قرابة عامين. فعلى امتداد العامين الأخيرين طرأت تحوّلات كبيرة على دور إدلب في «الحرب السوريّة» بمجملها، وشيئاً فشيئاً بات ذكرُها مقترناً بهزائم المجموعات المسلّحة على امتداد الجغرافيا السوريّة. ولا يُعدّ تزايد الضخّ الإعلامي في شأن المعركة القادمة أمراً مفاجئاً، ولا سيّما أنّ «المهمّة» اكتملت مع إقفال ملفّي درعا والقنيطرة.

«معركة كُبرى» أم معركتان؟

في خلال الأسبوعين الأخيرين دخل الجيش السوري وحلفاؤه في حالة تأهّب فعليّة في انتظار «الساعة الصفر». وتؤكّد مصادر ميدانيّة عدّة لـ«الأخبار» أنّ «الجاهزيّة عالية والحماسة كبيرة، والقوّات مستعدّة لبدء المعركة في أي لحظة». ويتحفّظ مصدر قيادي عن التعليق على كل ما يخصّ الموعد المفترض، ويقول: «تأتي الأوامر برفع الجاهزيّة، فننفّذ وننتظر أمر العمليّات، سواء جاء بعد ساعة أو بعد يوم أو شهر. لدينا حقيقة واحدة مسلّم بها: سنحرّر كل شبر سوري حين تأتي الأوامر». وتوحي المؤشّرات بأنّ إدلب مرشّحة لتكرار سيناريو درعا، مع اختلاف جوهري، مفادُه أنّ حجم سيطرة المجموعات «الجهاديّة» في إدلب أكبر. وتحوّل مطار أبو الضهور العسكري (ريف إدلب الشرقي) أخيراً إلى أكبر نقطة تحشيد في محيط إدلب. ومن المرجّح تقسيم معارك إدلب إلى مرحلتين أساسيتين، عبر شطر المحافظة إلى مربّعَي عمليّات: معجّل، ومؤجّل. ويبدو الخط الأفقي الممتدّ بين مطار أبو الضهور ومدينة جسر الشغور (ريف إدلب الغربي) مهيّأً للتحوّل إلى خطّ فاصل بين المربّعين المذكورين، بحيث تكون المناطق الواقعة جنوب الخط مسرحاً للعمليّات الأولى، فيما يُرجّأ «شمال الخط» إلى مرحلة لاحقة، وبصورة تستحضر سيناريو «شرق وغرب السكة». ومن شأن خوض المعارك وفق هذا التكتيك أن يمهّد لإحداث اختراقات في صفوف المجموعات، عبر منح الفرصة لمن يشاء منها لعقد تسويات شبيهة بتسويات درعا، فيما يُتاح للمجموعات «الجهاديّة» مثل «النصرة» و«الحزب الإسلامي التركستاني» وسواهما الانسحابُ نحو الجزء الشمالي من المحافظة. ويفرض هذا السيناريو (في حال اعتماده) وجوب تأمين ريف حلب الغربي والحيلولة دون تحويل المجموعات المسلّحة له إلى محور معركة إدلب بالمعنى «اللوجيستي» استنزافٍ لتخفيف الضغط عن مناطق العمليّات الأولى. لكنّ هذا السلوك يبدو مستبعداً بالنظر إلى أنّ «حركة نور الدين زنكي» المسيطر الأبرز في ريف حلب الغربي تخوض صراعاً دامياً ضدّ «جبهة النصرة» المستهدف الأساسيّ في معارك ريف إدلب الجنوبي المفترضة.

«كرة النار» في الملعب التركي

برغم عدم الكشف إعلاميّاً عن أي توافقات محتملة بين «ضامني أستانا» في ما يخصّ المعركة المُنتظرة، فمن المرجّح أنّ كواليس الاجتماع الأخير قد شهدت اتفاقاً على منح مهلة زمنيّة للمجموعات الراغبة في عقد التسويات في المتطرفة، بما يضمن إنهاء وجودها جنوب الخط الممتد بين أبو الضهور وجسر الشغور».

المرحلة الثانية: «قسد» على الخط؟

إذا كانت «هندسة» المرحلة الأولى من معارك إدلب شبهَ مكتملة، فإنّ الأمر يبدو مختلفاً في ما يخصّ المرحلة الثانية. ومن المرجّح أنّ بقاء ملفّ إدلب مفتوحاً سيفرض نفسه إلى ما بعد حلحلة ملفّات سياسية أخرى مثل «اللجنة الدستوريّة»، و«عودة اللاجئين من دول الجوار»، و«خريطة الطريق» بين دمشق و«قسد». وتُبدي الأخيرة اهتماماً خاصّاً بخوض مزيد من المعارك «ضدّ الإرهاب»، نظراً لما يمكن أن يوفّره هذا الامتياز من «شرعيّة». ولم تكن التصريحات التي أدلى بها أخيراً الرئيس المشترك لـ«حركة المجتمع الديمقراطي» آلدار خليل، هي الأولى على هذا الصعيد، ففي مطلع العام الحالي كان صالح مسلم قد أدلى بتصريحات مماثلة في المضمون. ولا يبدو هذا الموقف حكراً على المكوّن الكردي في «مجلس سوريا الديمقراطيّة». ويؤكد «الرئيس المشترك» رياض درار لـ«الأخبار» أنّ «تصريحات بعض مسؤولي الإدارة الذاتيّة حول قتال المتطرفين في كل الأراضي السورية تنبع من موقف مبدئي». ويقول درار إنّ «هذه التصريحات ليس لها علاقة بالمباحثات (التي أُجريت أخيراً في دمشق)، وحين يتطلّب الأمر سنقاتل الإرهاب في أي مكان في سوريا». وسألت «الأخبار» عن «احتمال التنسيق مباشرةً وعلناً مع الجيش السوري لخوض معارك من هذا النوع»، فأكّد درار أنّ «هذا الأمر ممكن من حيث المبدأ. لكن دماء المقاتلين يجب ألا تذهب هدراً، وعلينا أن نعقد اتفاقات أولى لنصل إلى الحد الأدنى الذي يجعلنا نتوافق على المواجهات الحربيّة ضدّ الخصوم». وتكمن أهميّة موقف «قسد» على هذا الصعيد في حجم الضغط الذي يمكن أن تستشعره أنقرة فيما إذا لوّحت دمشق (عبر موسكو) باستخدام هذه الورقة في معارك إدلب، وما يمكن أن يُسهم ضغط مماثل في انتزاعه من تنازلات تركيّة. وبرغم أنّ حصول مشاركة من هذا النوع يبدو أمراً مستبعداً في المرحلة الرّاهنة، فإنّ مصادر كرديّة واسعة الاطّلاع تؤكّد لـ«الأخبار» أنّ «مقاتلي وحدات حماية الشعب سيلعبون دوراً محورياً وحتميّاً في معارك القضاء على المتطرّفين وتحرير إدلب منهم».

> **خلال الأسبوعين الأخيرين دخل الجيش السوري وحلفاؤه في حالة تأهّب فعلية**

معزّل عن النار. وبخلاف القصف الجوّي، يبدو مستبعداً انطلاق العمليّات البريّة من دون تفاهم مع الأتراك الذين يحتفظون بست نقاط مراقبة في النصف الجنوبي من إدلب. وتشير مُعطيات متقاطعة حصلت عليها «الأخبار» إلى أنّ أنقرة حاولت انتزاع «تعهّدات روسيّة ـ إيرانيّة بتبريد جبهة إدلب في المدى المنظور». في المقابل، «وضعت دمشق وحلفاؤها شرطين أساسيين يجب على أنقرة السير في تنفيذهما لضمان تبريد الجبهة». ويدور الشرطان المذكوران في فلك «تفاهمات أستانا» والالتزامات المترتبة على اللاعب التركي الذي أبطأ في تنفيذهما: التزام أنقرة تحجيم نفوذ «جبهة النصرة» في أطراف محافظة إدلب القريبة من خطوط التماس (الريفين الشرقي والجنوبي)، والتمهيد لإعادة الحياة إلى عدد من الطرق البريّة الحيويّة. وتؤكّد مصادر واسعة الاطلاع لـ«الأخبار» أنّ «البديل الوحيد لفتح الجيش وحلفائه معركة إدلب، قيام عدد من المجموعات المسلّحة بشنّ معارك حقيقية على الجبهة

أنقرة «تلعب» في عفرين

لا تضيّع أنقرة الوقت في عفرين. ومنذ أن أنجز الجيش التركي احتلال المنطقة تحت عنوان «غصن الزيتون»، بعونٍ من المجموعات المسلّحة السورية، انخرطت الأجهزة التركيّة في مساعٍ محمومةٍ لقلب «البيت العفريني» رأساً على عقب. ولم تقتصر تلك المساعي على محاولات التلاعب بالبنية الديمغرافيّة للمنطقة، بل شملت أيضاً محاولة استمالة من بقي في عفرين من أبنائها الأكراد السوريين. وتؤكّد مصادر من داخل عفرين أنّ الأجهزة التركيّة تعمل بشكل حثيث على زرع «روابط دينيّة» في قلب المجتمع العفريني، رغم أنّه ظلّ باستمرار مجتمعاً أقرب إلى العلمانيّة. وتستعين الاستخبارات التركيّة في سبيل تحقيق هذا الهدف ببعض رجال الطرق الصوفيّة والنقشبنديّة الأكراد. كما تعمل خفيةً على استقطاب بعض رموز «السلفيّة الكرديّة» إلى المنطقة. ومن المعروف أنّ بعض الحركات السلفيّة الكرديّة كانت قد لعبت دوراً مهمّاً في صعود نجم أبو مصعب الزرقاوي الأب الروحي لتنظيم «داعش» وأحد أبرز مُلهمي «جبهة النصرة» و«تنظيم القاعدة». في الوقت نفسه، تحوّلت عفرين إلى وجهة دائمة لعدد من ساسة الأكراد الأتراك. ويحاول هؤلاء مدّ جسور «قوميّة» مع أبناء عفرين الأكراد، والعزف على وتر «المظلوميّة» التي تعرّضوا لها و«تخلّي الجميع عنهم، بما في ذلك الكيانات السياسيّة والعسكريّة الكرديّة السوريّة». كذلك، يروّج هؤلاء لخطاب مفاده أنّ «الأتراك أقرب إلى الأكراد من العرب الهمج».

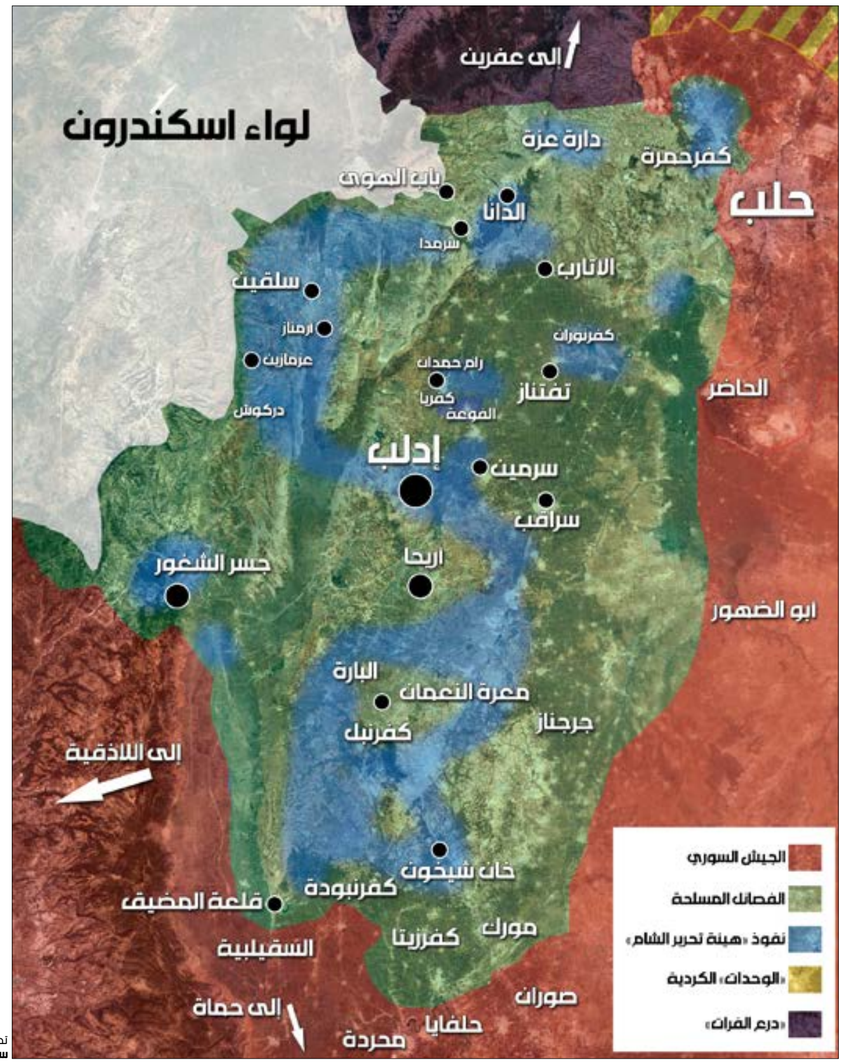

تصميم
سناء عيسى

من «تصدير الفاتحين» إلى «ملاذ المهزومين»

في الأعوام الأربعة الأولى كانت المحافظة قد لعبت دوراً أساسيّاً في «تصدير» المسلّحين إلى كثير من مناطق الاشتباك السوريّة، ولا سيّما المتاخمة لها. وأسهم هؤلاء في تشكيل مئات «الكتائب» و«الألوية» المعارضة (سواء خارج محافظتهم أو داخلها)، وانطلق كثير من المعارضين على إدلب لقب «خزّان الثورة الكبير». كذلك، لعبت إدلب دور «المعبر الحيوي» لآلاف «الجهاديين» الوافدين من الحدود التركيّة، حيث أنشأت بعض التنظيمات معسكرات استقبال وتدريب في الريف يقصدها هؤلاء، قبل أن يتوزّعوا على جبهات مختلفة على امتداد الجغرافيا السوريّة. سيطرت المجموعات المسلّحة على معظم ريف إدلب منذ أوائل عام 2013. نقطة التحوّل الأولى سُجّلت في عام 2014 حين بدأت بعض مناطق الريف في لعب دور معاكس عبر جذب المجموعات المسلّحة من خارج المحافظة إلى داخلها. ويفعل الحضور الكبير الذي تحظى به «جبهة النصرة» فيها، وقع الاختيار عليها مقصداً لآلاف مسلّحيها الذين انسحبوا مدحورين من معارك طويلة وعنيفة ضدّ تنظيم «داعش» في أرياف دير الزور والرقّة والحسكة وحلب. أما التحوّل المفصلي في دور إدلب الوظيفي، فسُجّل مع خواتيم «معركة حلب»، وبدأت إدلب في التحوّل من «عمق استراتيجيّ» للمجموعات المسلّحة، إلى «ملاذ أخير». لاحقاً كرّت السَبحة. كفّت المحافظة عن «تصدير» المقاتلين في صورة «الأبطال والفاتحين» من مختلف الأيديولوجيّات، لتبدأ في استيرادهم مكلّلين بالهزائم.

تقرير

عملية مرتقبة في بادية السوداء

يبدأ الجيش السوري خلال الـ48 ساعة المقبلة عملية عسكرية ضد تنظيم «داعش» في بادية السويداء الشرقية، انطلاقاً من المحور الشمالي الشرقي، في مسعى لتأمين حدود المحافظة الشرقية المتاخمة للبادية، وضرب تجمعات الإرهابيين. وبحسب المعلومات، فإن الخطة تأتي في إطار إنهاء وجود «داعش» في آخر بؤر تجمعاته في الجنوب الشرقي لسوريا، وفي إطار الرد على العملية الإرهابية التي طاولت محافظة السويداء ومعاقبة الارهابيين على جريمتهم. وقالت مصادر عسكرية متابعة إنّ الجيش حشد لهذه الغاية قوات كبيرة، وبدأ بالرمايات التمهيدية والقصف الجوي على معاقل الارهابيين في عمق البادية ذات الطبيعة الوعرة، على أن تبدأ القوات بالتقدم البري في أقرب وقت. وكان الجيش قد عزز انتشاره ومواقعه على طول خط الحدود الشرقية لمحافظة السويداء، في جبهة تمتد لأكثر من 100 كلم، لمنع أي تسلل جديد باتجاه القرى الآمنة وقطع خطوط التهريب بشكل نهائي عن تجمعات الإرهابيين في البادية.

(الأخبار)

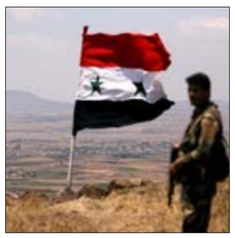

اليمن

صنعاء غير مطمئنة إلى إعلان غريفيث:
غطاء لتصعيد عسكري جديد

رغم محاولات «التحالف» الحثيثة نفض يده من مجزرة الحديدة التي أوقعت عشرات الضحايا، إلا أن المعطيات اجتمعت على إدانته. وكشفت ما كان يأمله من وراء الغارات «الصادمة» على المدينة. في هذا الوقت، كان تحديد مارتن غريفيث موعداً جديداً للمشاورات يتفاعل على مقلبَي الحرب. مثيراً في صنعاء شكوكاً حول ما إذا كان التأخير غطاءً لاستمرار التصعيد على الساحل الغربي

كان يُفترض بالإحاطة الأخيرة التي قدّمها المبعوث الأممي مارتن غريفيث إلى مجلس الأمن الدولي، والتي أعلن فيها السادس من أيلول/سبتمبر المقبل موعداً لانعقاد جولة جديدة من مشاورات السلام في مدينة جنيف السويسرية، أن تنعكس تفاؤلاً على المقلب اليمني، لكن تفاصيل ذلك الإعلان، والسياق الذي جاء فيه، وردود فعل الجبهة الموالية لتحالف العدوان عليه، كلها معطيات جعلت من إحاطة غريفيث سبباً في مزيد من التشاؤم بمال الجهود التي يبذلها مندوب المنظمة الدولية. تشاؤم رافقت ارتفاع منسوب توقعات بتصعيد عسكري إضافي على جبهة الساحل الغربي خلال الأيام المقبلة، في وقت كانت فيه مدينة الحديدة تتلمّم آثار المجزرة التي استهدفتها أول من أمس، والتي حاول «التحالف» التملّص من المسؤولية عنها.

وأعلن مسؤول في حكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، أمس، أن حكومته ستشارك في المحادثات المرتقبة في جنيف، والتي قال إنها لن تكون مباشرة. لكن المسؤول نفسه، الذي تحدث إلى وكالة «فرانس برس»، رفض تسمية ما ستشهده المدينة السويسرية بالمفاوضات، معتبراً أنها «ستكون مشاورات من أجل المشاورات». نبرة تشاؤمية برزها المتحدث بأن «المبعوث الأممي لم ينجح في إقناع الميليشيات بالانسحاب من مدينة الحديدة ومينائها من دون قتال»، وبأن «الخلافات لا تزال كبيرة بين الحكومة والانقلابيين»، لـ«التحالف» ما زال مرتفعاً، وبأن لا استعداد لديها لمقابلة المرونة التي أبدتها «أنصار الله» في التعامل مع المقترحات الأممية بموقف مماثل يمكن أن يوطّئ لوقف الحرب.

هذا التعنت بدت مؤشراته واضحة في الإحاطة التي تقدّم بها غريفيث أول من أمس، وخصوصاً في قوله إنه ليست ثمة أرضية لاتفاق حول الحديدة، لكن المستغرب من وجهة نظر مصادر سياسية في صنعاء هو تأخير المشاورات المزمع عقدها إلى ما بعد مرور أسبوع من شهر أيلول المقبل، علماً بأن غريفيث كان يتحدث عن إطار زمني أقل من ذلك، حتى بلغ به الأمر حدّ القول، في الـ29 من تموز/ يوليو الماضي، عقب لقائه أمير الكويت صباح الأحمد الجابر الصباح، إنه يأمل «تحقيق السلام في اليمن في غضون الشهر المقبل (آب/ أغسطس)». تأخير تقرأ فيه المصادر «تواطؤاً» على منح «التحالف» فرصة إضافية لتحقيق منجز ميداني في الحديدة، يخوّله الجلوس إلى الطاولة مُحمَّلاً بأوراق قوة. ومن هنا، تدور التوقعات في صنعاء حول أن الفترة الفاصلة عن موعد استئناف المحادثات ستشهد عمليات تصعيد عسكري

> **اعتبرت حكومة هادي أن محادثات جنيف ستكون «مشاورات من اجل المشاورات»**

في محافظة الحديدة، مع إمكانية العودة إلى المخطط السابق القاضي بمحاولة اقتحام مركز مديرية الحديدة من دون السيطرة على المناطق الداخلية للمحافظة، لا سيما في ظل التحشيد الكبير باتجاه مديرية الدريهمي (جنوب مدينة الحديدة)، والتي يتطلع «التحالف» إلى إحكام قبضته على مركزها. هذه العمليات المُتوقّعة كانت بدأت بوادرها منذ أواسط الأسبوع الماضي مع استئناف القصف العنيف على الحديدة، والذي بلغ ذروته أول من أمس بمجزرة مروّعة راح ضحيتها 155 قتيلاً وأكثر من 100 جريح. مجزرة حاول «التحالف»، إثر ردود الفعل الأممية الساخطة، التملّص منها، بقوله على لسان المتحدث باسمه، تركي المالكي، إن «الميليشيات هي من نفّذت عملية قتل المدنيين في الحديدة»، وإنه «لم تتمّ أي عمليات للتحالف داخل الحديدة». وهو ما عاد وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية، أنور قرقاش، وكرّره، مُتحدّثاً عن «تحقيق أجرته قوات التحالف بالتعاون مع حلفاء غربيين»، ومدّعياً وجود «دليل واضح على أن الأضرار قد نجمت عن قذائف الهاون التي أطلقت من أراضي الحوثي».

لكن مصادر مطلعة أكدت، في حديث إلى «الأخبار»، أن سوق السمك وبوابة مستشفى «الثورة» في الحديدة تم استهدافهما بغارات جوية من طائرات «التحالف»، وذلك بعد قصف بحري كثيف استهدف المدينة طيلة نهار يوم الخميس. ويحسب رواية ناشطين مقرّبين من «التحالف»، فإن معلومات توافرت لدى الأخير تفيد بأن «قيادياً حوثياً» كان موجوداً في سوق السمك، ما حمل الطائرات على قصفه، ولما تمّ الاشتباه في أن القيادي المفترض نُقل إلى مستشفى «الثورة»، تمّت الإغارة على بوابة المستشفى هو الآخر. لكن، على ما يبدو، فإن السعودية والإمارات، ولدى اكتشافهما أن ليس هناك «صيد ثمين» كما توهّمتا، عمدتا إلى محاولة تمويه الجريمة، وإشغال الرأي العام بقذائف «هاون»، لا تنفي المصادر التي تحدثت إلى «الأخبار» أنها سقطت بالفعل على سوق السمك، لكنها توضح أن ذلك حدث بعد ساعة كاملة من وقوع الغارات التي أدت إلى مقتل وجرح

إحدى ضحايا الغارات التي استهدفت مدينة الحديدة اول من امس (أ ف ب)

العشرات، وأن القذائف انطلقت من الدريهمي حيث يوجد لواءٌ كامل من الميليشيات المدعومة إماراتياً، ما يبرّر - بحسب المصادر - الاعتقاد بأن ثمة عملاً مقصوداً لتمييع المجزرة. وتنبّه المصادر، في كل الأحوال، إلى أنه ليس بإمكان قذيفة اختراق سوق بأكمله، وإيقاع هذا الكمّ الهائل من الضحايا.

وفي تعليقه على إنكار الرياض وأبو ظبي مسؤوليتهما عن الجريمة، أشار رئيس «اللجنة الثورية العليا» التابعة لـ«أنصار الله»، محمد علي الحوثي، في تغريدات على «تويتر»، إلى أن «هذا التحالف اعتاد، أمام أي جريمة أو مأزق يُدان به، أن يتنصل ثم يعترف بعد ذلك»، مُذكّراً بـ«جريمة الصالة الكبرى التي أنكرها، ثم زعم أنه سيحقق فيها، ولم تزِ نتائج التحقيق المزعوم النور حتى الآن». وفي كلمة ألقاها خلال المسيرة التي شهدتها العاصمة صنعاء أمس تحت شعار «بدمائنا نصون أعراضنا»، جدّد الحوثي إدانته مجزرة الحديدة، مُشدّداً - في موقف لافت - على «(أننا) لا نقدم المبادرات اعتباطاً»، في إشارة إلى مبادرة وقف الأعمال العسكرية البحرية، والتي «جاءت من أجل الحفاظ على شعبنا». في هذا الإطار، تفيد مصادر مطّلعة في صنعاء، لـ«الأخبار»، بأن مبادرة الحوثي جاءت من أجل سحب الذرائع من أيدي قوى العدوان، موضحة أن معلومات توافرت لدى «أنصار الله» تفيد بأن «التحالف» كان يسعى إلى استهداف سفن تجارية في البحر الأحمر، بهدف استقطاب دعم دولي لمعركة الحديدة، بعدما بدا أن خطته المتمثلة في إعلان تعليق مرور شحنات النفط عبر باب المندب لم تؤتِ مفعولها المطلوب.

(الأخبار)

وجهة نظر

قبل أن توقّع غزة على الهدنة

معين الرفاعي (أبو عماد) *

تتزايد المؤشرات على اقتراب التوصل إلى إيجاد تسوية ما حول قطاع غزة، تسوية تقوم على مقايضة بحلول للمعاناة المعيشية والإنسانية المتفاقمة في القطاع مقابل تحييد سلاح المقاومة، عبر التوصل إلى «هدنة» طويلة الأمد، تتفاوت التقديرات والتسريبات بشأن مدتها.

لا شك في أن أهالي غزة يعيشون أصعب معاناة يعرفها أي مجتمع إنساني حالياً على وجه الأرض، معاناة سبّبها الحصار الظالم الذي يمارسه العدو الإسرائيلي منذ ما يقارب اثنتي عشرة سنة، والدمار المنهجي للبنى التحتية في ثلاث حروب كان هدفها التدمير وزرع اليأس، إضافة إلى الإجراءات العقابية التي تمارسها السلطة الفلسطينية في رام الله، بحجة تمكين الحكومة واستعادة السلطة. ويسجل لأهالي غزة ولمقاومتها التي خرجت من نسيجها الاجتماعي أنها سجلت بطولات ستبقى خالدة على صفحات التاريخ، وأنها في كل مرة يُظن فيها أن الوضع وصل إلى طريق مسدود تبدع غزة وسائل جديدة للمقاومة واستمرار المواجهة مع العدو، ويبدي أهلها دوماً استعداداً منقطع النظير لدفع ثمن المقاومة والاستمرار في المواجهة. كل ذلك رغم الجراح والمعاناة التي يجب أن تنتهي فوراً. فهذا أمر محسوم، وخارج النقاش.

لكن ما ينبغي إثارته للنقاش، في حال صدق التوقعات بقرب التوصل إلى التسوية التي تحاك خيوطها في أكثر من عاصمة غربية وإقليمية، قيمة مثل هذه التسوية في السياق العام للقضية الفلسطينية. فالتسوية، بالصيغة التي يحكى عنها، لا تقايض «المساعدات الإنسانية» بالهدنة العسكرية فحسب، بل تقايض المساعدات بالقضية الفلسطينية كلها.

نشأت جميع حركات المقاومة الفلسطينية لتحرير فلسطين واستعادة الأرض، كل الأرض. فهذا هو الشعار الذي رفعته كل الفصائل، عند انطلاقتها على الأقل؛ وهو الشعار الذي كان يعبِّر عن أهداف المقاومة والنضال الفلسطيني. واستمدت حركات المقاومة، ولا سيما الإسلامية، وعلى وجه الخصوص «الجهاد الإسلامي» و«حماس»، شرعيتها من مواجهة الانحراف عن الشعار الأساسي لدى «منظمة التحرير الفلسطينية»، ومن تمسكها بالهدف الأساسي للشعب. ما يجري اليوم من مباحثات بشأن التسوية حول غزة يدفع إلى التساؤل، على فرض صوابية إجراء مثل تلك المقايضة للتخفيف من معاناة الأهالي: هل ستقبل المقاومة الانكفاء داخل القطاع وترك العدو الصهيوني يستكمل مشاريعه في تهويد القدس، ومصادرة الأراضي في الضفة المحتلة، والإعداد لمخطط ترحيل جديد لمن بقي من أهلنا في الأراضي المحتلة عام 1948، وهو ما يمهد له بقوة إقرار «قانون القومية» في الكنيست أخيراً؟ وهل مسموح، من الناحيتين السياسية والشعبية، التراجع عن هدف التحرير الكامل والمواجهة اليومية المستمرة مع العدو في كل فلسطين، حتى مقابل تحويل غزة إلى «سنغافورة»؟ ألا يسمح ذلك للبعض بتصوير قبول مثل تلك التسوية، في حال إتمامها، بأن قوى المقاومة المشاركة فيها باتت جزءاً من «صفقة القرن» التي تعدّها الإدارة الأميركية لإنهاء القضية الفلسطينية؟

يتزايد الحديث أخيراً عن أن تجربة المقاومة الفلسطينية باتت تقترب أكثر فأكثر مما انتهت إليه تجربة «منظمة التحرير»، بل وصلت متأخرة عنها بربع قرن من الزمن. لا شك في أن المقاومة سطّرت بطولات، وقدمت تضحيات، وأفشلت الكثير من المؤامرات. لكن أليس الارتكاز على مثل هذه البطولات والتضحيات هو ما تذرع به الذين قيمة مثل هذه التسوية في السياق العام للقضية الفلسطينية. فالتسوية، بالصيغة التي يحكى عنها، لا تقايض «المساعدات الإنسانية» بالهدنة العسكرية فحسب، بل تقايض المساعدات بالقضية الفلسطينية كلها.

يبدو أن المشكلة الأساسية التي تعاني منها الفصائل الفلسطينية كافة، على اختلاف مشاربها، غياب آلية صنع الاستراتيجيات، وأن كل من يستشعر في نفسه القدرة يحاول تمرير رؤياه، ارتكازاً على ماضيه من جهة، أو اعتماداً على تقديراته الخاصة، من جهة أخرى، وهنا مكمن الخلل الذي يحوّل كل الانتصارات العسكرية والتضحيات الميدانية إلى خسائر سياسية، ولا تتحول الإنجازات إلى تراكم، بل تضيع على أعتاب السياسات التكتيكية.

رغم أن العدو الصهيوني نجح في إقامة دولة مصطنعة، وحكومات فعالة، فإنه لم يستطع قَطّ عن البحث عن أطر غير حكومية تضع له استراتيجيات تتناسب مع طبيعة كل مرحلة. ويُعَدّ مؤتمر «هرتسيليا» السنوي أحد أبرز الأطر التي تناقش الاستراتيجيات، إضافة إلى مؤتمرات أخرى، مثل «أيباك» وغيره. أما في الحالة الفلسطينية، فتغيب مثل تلك الأطر تماماً، فضلاً عن العجز عن مجرد عقد اجتماع للإطار القيادي للقوى والفصائل الفلسطينية، رغم خطورة المرحلة التي تمرّ بها القضية ودقتها.

لنعترف جميعاً بأنّنا نقترب سريعاً من لحظة الحقيقة العارية؛ استراتيجية المفاوضات أدخلت القضية في متاهات استغلها العدو للإطباق على الأرض وتهديد الوجود الفلسطيني بشكل غير مسبوق، واستراتيجية المقاومة فشلت في وقف الانهيار الذي سبّبته المفاوضات. الخطيئة الكبرى هي في اعتبار التفاوض والمقاومة هدفين بذاتهما، في حين أنهما مجرد وسيلتين، ولا يمكنهما أن تكونا غير ذلك.

ما نحتاج إليه في هذه المرحلة، هو الخروج من عقلية الحفاظ على الوسائل وما حققته من مكاسب، وإعادة توجيه الوعي والتفكير باستراتيجيات نحو الهدف الحقيقي، استراتيجيات مواجهة العدو الصهيوني، والمقاومة اليومية ضد العدو، على امتداد فلسطين، وإنقاذ المسجد الأقصى، وتحرير الأرض. تلك الاستراتيجيات تتحقق بالتلاقي والتفكير خارج الأطر التي باتت قيوداً تأسر أصحابها. وهي تحتاج بلا شك إلى كل صاحب رأي ليس من الشعب الفلسطيني وحده، بل من كل العرب والمسلمين وأحرار العالم. فهل نجرؤ على الاعتراف بأخطائنا وفعل ما ينبغي لنا فعله؟

* **سياسي فلسطيني**

العراق

خطوات السياسيين لا ترضي «المرجعية»: مباركة لـ«الغضب المنضبط»

بعدما حاولت القوى السياسية، في خلال الأيام الماضية، استرضاء المرجعية الدينية بسلسلة خطوات تتماهى مع توجيهات الأخيرة، لم تنبئ خطبة الجمعة أمس بأن ثمة تبدّلاً في الموقف لدى «المرجعية». دعم متجدد للمتظاهرين، وشرعنة لتحركاتهم، شرط «الانضباط»، وتحذيرات للطبقة السياسية من استمرار الاحتجاجات. محدّدات ثلاثة ترى فيها مراقبون دعوة غير مباشرة الى مواصلة التظاهرات ضد السلطة

بغداد ـ **سعد المحمود**

موقف جديد، بسقف أكثر ارتفاعاً، أطلقته المرجعية الدينية (آية الله علي السيستاني)، أمس، إزاء المطالب الشعبية المُنددة بالواقع المعيشي السيّئ، والفساد المستشري في مؤسسات الدولة وأجهزتها، فضلاً عن ارتفاع نسبة البطالة، وعجز الحكومات الاتحادية المتعاقبة عن خلق فرص عمل لعشرات الآلاف من الباحثين عنها. موقف «المرجعية» جاء على لسان ممثلها أحمد الصافي، الذي لفت إلى وجود «آثار إيجابية للغضب»، كـ«حفظ الأعراض والمقدسات، ومنع تدنيسها»، مضيفاً أن «الغضب لا بد أن يكون له لسان، ويعبّر عن مطلبه بشكل إيجابي». وما إن انتهى الصافي من إعلان موقف «المرجعية»، حتى انطلقت في كربلاء تظاهرة كبيرة تطالب بتحسين الواقع الخدمي، بالتوازي مع أخرى في ساحة التحرير وسط العاصمة بغداد، حيث سلّم المحتجون مجمل مطالبهم لنائب قائد عمليات بغداد، اللواء الركن محمد صبري، بغية تسليمها لرئاسة الوزراء.

وفي تعليقه على موقفها الأخير، يرى الباحث عصام الفيلي في «تحذير المرجعية الطبقة السياسية من استمرار التظاهرات، وتنويهها بالغضب»، محاولة «لدفع المتظاهرين إلى عدم الخوف من السلطات»، مضيفاً في حديثه إلى «الأخبار» أن «انتزاع الحقوق

> **تنتظر وزير الكهرباء قاسم الفهداوي عقوبة الحبس او الطرد**

رسالة إلى المتظاهرين بالاستمرار في التظاهرات، من خلال الضغط على الحكومة الاتحادية، وكذلك الحكومات المحلية، بالتحرك عاجلاً لتلبية المطالب المحقة، وهي رسالة . في الوقت عينه . إلى البرلمان والحكومة المقبلين، بأن العراقيين قادرون على أخذ حقوقهم، وعليكم توفير ما عجز عنه أسلافكم». وتابع الفيلي قائلاً إنّ «العراق بحاجة إلى إعادة النظر بنظامه السياسي بشكل كامل، والقضاء على ملفات الفساد المرتبطة بالخارج من طريق الأحزاب المشاركة بالسلطة»، لافتاً إلى أن «الفقرة 55 في الدستور العراقي بحاجة إلى تفعيل» (تدعو المادة إلى انتخاب مجلس النواب في أول جلسة له رئيساً، ثم نائباً أول ونائباً ثانياً، بالأغلبية المطلقة لعدد أعضاء المجلس، وبالانتخاب السري المباشر).

وحتى ساعة متأخرة من مساء أمس، لم يصدر أي حزب أو كتلة بياناً يؤيد أو يردّ على حديث المرجعية، بل ركن أغلبها إلى الصمت. وكانت تلك القوى قد سارعت، الأسبوع الماضي، إلى تقديم «قروض الطاعة» (مبادرتان للحل قدمهما كل من زعيم «التيار الصدري» مقتدى الصدر، والأمين العام لـ«منظمة بدر» هادي العامري)، إلا أن العبادي كان الأبرز في خطوة «سحب يد» وزير الكهرباء قاسم الفهداوي، بحيث حاول رئيس الوزراء المنتهية ولايته التشديد على التزام توجيهات «المرجعية»، في وقت أشارت فيه مصادر قضائية متابعة لقضية لفهداوي إلى أن «الرجل المذكورة أنفاً، وبمساهمة كبيرة من موظفي المفوضية لمكتني محافظتي بابل وكربلاء، فضلاً عن موظفي مكتب الديوانية الانتخابي»، مشيراً إلى أن «مجلس المفوضين مستمر بالإشراف المباشر على عمليات العدّ والفرز لاستكمال المراكز والمحطات التي وردت بشأنها شكاوى وطعون في محافظة بغداد/ الكرخ، والتي سينتهي العمل فيها اليوم السبت في معرض بغداد الدولي، بحضور وكلاء الأحزاب السياسية، والمراقبين الدوليين والمحليين».

العراقي»، مضيفةً أن «هذه اللجان لن تجد ما يثير الاهتمام، لأن المسؤولين العراقيين لم يتركوا أوراقاً ثبوتية تدين تصرفاتهم، فضلاً عن أن سياسة وزارة الكهرباء لم تعالج أياً من مشاكلها على مدى 15 عاماً، وفي عهد أكثر من وزير (حتى ضمن الحكومة الواحدة)».

انتخابياً، أعلن الناطق الرسمي باسم «المفوضية العليا المستقلة للانتخابات»، ليث جبر حمزة، انتهاء عمليات إعادة العدّ والفرز للمراكز والمحطات الانتخابية المطعون فيها في محافظة الديوانية. وقال إن «مجلس المفوضين، من القضاة المنتدبين والقاضي المنتدب لمحافظة الديوانية، أشرف على عملية العدّ والفرز للمراكز والمحطات التي وردت فيها شكاوى وطعون في المحافظة المذكورة أنفاً، وبمساهمة كبيرة من موظفي المفوضية لمكتني محافظتي بابل وكربلاء، فضلاً عن موظفي مكتب الديوانية الانتخابي»، مشيراً إلى أن «مجلس المفوضين مستمر بالإشراف المباشر على عمليات العدّ والفرز لاستكمال المراكز والمحطات التي وردت بشأنها شكاوى وطعون في محافظة بغداد/ الكرخ، والتي سينتهي العمل فيها اليوم السبت في معرض بغداد الدولي، بحضور وكلاء الأحزاب السياسية، والمراقبين الدوليين والمحليين».

شذرات

عن هزيمة حزيران وإنكار فلسطين وصفقة القرن [3/3]

زياد منى

لقد أدّت هزيمة حزيران إلى تخلي الأنظمة العربية علانية عن فلسطين لمصالح مشاريعهم التسووية، لكن نمو العمل الفدائي في شرق الأردن عطّل لبعض الوقت من هيمنة المعسكر الرجعي على القرار الوطني الفلسطيني، خصوصاً بعد معركة الكرامة التي أكسبته تعاطفاً فلسطينياً غير مسبوق فانضم الآلاف من الفلسطينيين إلى حركة فتح التي قادت التصدي للعدو الصهيوني الذي هاجم مخيّم الكرامة. ومع أن العدو نجح في تدمير المخيم وأسقط العشرات من المناضلين الأبطال في المعركة، إلا أن اضطراره إلى لانسحاب وترك آلياته وجثامين مرتزقته في ساحة المعركة، منح العمل الفدائي، كما كان يعرف حينذاك، شرعية شعبية لم يكن نظام عمان المتصهين قادراً على مواجهتها، ما سمح بتمدد الفدائيين إلى عمان وإربد والزرقا وإلى مخيمات اللاجئين في تلك المدن، إضافة إلى مخيم البقعة وهو أكبر تجمع فلسطيني (للاجئين) خارج فلسطين (الانتداب).

«صبر» الرجعية العربية على العمل الثوري لم يطل حيث بدأ نظام عمان باختلاق معارك مع الفدائيين في مختلف أنحاء، شرق الأردن، وتوّج ذلك بأيلول الأسود والذي انتهى إلى قرارات مؤتمر قمة القاهرة في أيلول عام 1970، والذي فرض على التنظيمات الفلسطينية تسليم سلاحها للنظام عمان والانسحاب من الأردن. لقد عايشت تلك الفترة شخصياً حيث كنت متمركزاً في مقر إعلام فتح المركزي في جبل الحسين. وأذكر أنه بعد ثلاثة أيام من القتال ضد قوات البادية المهاجمة (لم تتمكن من التقدم شبراً واحداً في المنطقة التي يمكن تسميتها وقتها بالمربع الأمني لكل الفدائي، حيث مقار القيادة المشتركة للتنظيمات الفلسطينية المختلفة ومعظم مقار قياداتها)، اضطرت الأخيرة إلى ترك مدرعاتها ودبابتها وناقلات جنودها، بمن فيها من القتلى، المدمرة قرب دوار مكسيم، وصدر الأمر بالانسحاب إلى المخيم (السيل)، والذي أدى، ضمن أمور أخرى، في نهاية المطاف إلى سقوطه.

واضح أن قيادة المنظمة حينذاك، صنيعة الرجعية العربية، قرّرت السير في مشروع الأخيرة والسعي للتصالح مع العدو الصهيوني، وهو ما حصل لاحقاً وإن على نحو مبتذل ومهزوم. لقد شكّلت قرارات قمة القاهرة التي دعا إليها الرئيس جمال عبد الناصر الطعنة الجديدة حيث أوكلت أمر حماية العمل الفدائي لنظام عمان، الذي أطلق عليه خالد الذكر صفة النظام العاهر. ما تلى ذلك معروف حيث انتقل العمل الفدائي إلى لبنان، ومن مشروع ثورة إلى ميليشيا تعتاش على أموال النفط الفاسدة والمفسدة. وتجلى ذلك في الفساد غير المسبوق فيها، وفي الفضائح التي لا حصر لها، ومنها مثلاً فضائح مدارس المنظمة في الكويت وفضائح مدارس أبنا، وبنات الشهداء في سوق الغرب، والقائمة تطول، واستمرار العمل على حصر السلطات كافة في يد رئيس المنظمة، علماً بأن أموال النفط كانت ترسل إليه شخصياً وليس لحسابات منظمة التحرير الرسمية ما مكّنه من تشكيل منظمة تابعة له وتأتمر بأمره، وما يتبع ذلك من أمور على جانب كبير من الخطورة. كما إن الأنظمة العربية كانت تصرّ على الاعتراف به تنظيماتها الأخرى، ما جعل منه mr. palestine. لكن من العدل تأكيد أن ياسر عرفات تمتّع بكاريزما قرّبته من الجماهير.

هذه النظرة المقربة وغابة في الاختصار من «الثورة» الفلسطينية توضح الدور التآمري للأنظمة العربية على فلسطين الأرض والقضية والشعب. لقد بدأت الخيانة القومية بالحسين بن علي وابنيه عبد الله الأول وفيصل، وبنسليهما من بعدهما، اللذين وقعا صك الخيانة في عام 1919 لأنهما طمحا إلى أن يكونا خدم المستعمر في بلادنا. والأمر يتكرر اليوم في شخصين هما ابن سلمان وابن زايد. الأول يريد خلافة والده وحصر الحكم في ورثته، والثاني يريد إطاحة شقيقه خليفة وتولي رئاسة الإمارات العربية المتنازعة، مع أن النظام الوراثي في ذلك الكيان يعني أن أبناء خليفة هم من يجب أن ينوبوا عن والدهم في حياته ويخلفوه بعد رحيله. لكن مسألة الخلافة لا تقرر في أبو ظبي ولا في الرياض، بل في لندن وواشنطن. ولأن هاتين الدولتين، مثل بقية مشيخات الخليج الفارسي، يعتمد وجودهما اعتماداً كاملاً على حماية الأب الحنون في واشنطن والأم الحنون في لندن ورضاهما، وهو ما يصرح به ترامب على نحو دائم، فعليهما تقديم فروض الطاعة والولاء للسيد الذي يمسك بحاضرهما ومستقبلهما، عبر تبنّي مشاريعه الاستعمارية بلا قيد أو شرط، أو كما قال مظفر النواب «وذاك تخوزق طوعاً لا إكراه ولا بلوط». وغدر الطموحين ليس بالجديد حيث غدر والد الأول بإخوته وابنه بأعمامه وأبناء عمومته، أما الثاني فقد غدر بشقيقه وبأبناء شقيقه وأمهم، وهو استمرار لتاريخ طويل من الغدر في عشيرة آل نهيان حيث من النادر أن حكم أحدهم العشيرة من دون أن يُقتل، إما على يد أبيه أو شقيقه أو عمه. تاريخ آل نهيان دموي كما يرد في المراجع البريطانية والعثمانية. ومن لا يؤتمن على عائلته لا يمكن ائتمانه على قضايا مصيرية.

تبنّي كل من «المحمدين» مشروع ترامب، أي «صفقة القرن»، لتصفية القضية الفلسطينية، يذكّرنا بالخونة الأعراب في الحرب العالمية الأولى حيث حاربوا إلى جانب المستعمر فقط من أجل عرش قصبي، وما أشبه اليوم بالبارحة.

إن الحديث في تطورات القضية الفلسطينية منذ سقوطها غير ممكن من دون استعمال مستمر لمفردات نعت مثل «خيانة» و«تواطؤ» و«تآمر» و«غدر» و«عقم» و«تهريج» و«هبل»، و«سذاجة»، و«هزائم»، و«مذابح»، وغير ذلك.

أخيراً، إن ما كتبته هو تذكّر شخصي بصوت عال لنقاط عشتها وعايشتها. وليس تأريخاً للحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، ونتمنى على من عاشر تلك المراحل من قيادات الصف الثاني وما تلاه إفادة أجيالنا الحالية بمذكراتهم كي نتّعظ وندرك أسباب هزائمنا كي نتجنبها مستقبلاً.

الحدث

الصين تعرقل عقوبات واشنطن: مستثمرون في التعاون مع إيران

حسمت الصين، أمس، موقفها بشأن العقوبات الأميركية على الجمهورية الإسلامية، بتأكيدها أنها ستحافظ على «تعاون طبيعي» مع طهران. موقف يمثّل رافعة لهما لإيران في سعيها إلى تعزيز أوراقها بمواجهة الضغوط المتزايدة عليها من قِبَل واشنطن

وزير الخارجية الإيراني مصافحاً نظيره السنغافوري خلال اجتماع وزراء خارجية دول «آسيان» (أ ف ب)

على عكس المفاوضات المكثّفة مع الأوروبيين، فإن التقاء طهران وبكين لا يحتاج إلى كثير اجتماعات وتنسيق، لتثبيت أن الصينيين سيلعبون دوراً رئيساً في حماية الاتفاق النووي، وتأمين البدائل مع اقتراب العقوبات الأميركية. مع ذلك، لا تتوقف المشاورات على خط طهران ـ بروكسل، وآخرها لقاء وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، أمس، وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي فيدريكا موغيريني، على هامش اجتماع وزراء خارجية رابطة «آسيان» في سنغافورة. وناقش الطرفان، بحسب وكالة الأنباء الإيرانية، آخر التطورات والإجراءات التي يعكف على تجهيزها الاتحاد الأوروبي للحفاظ على الاتفاق النووي ومكتسباته. إجراءات لا يزال بلفّ مصيرها الغموض، وتتضارب التقديرات بشأن مدى إمكانية أن تُثبّت آلية آمنة للالتفاف على العقوبات الأميركية، وهو ما سيتضح مع دخول العقوبات حيّز التنفيذ في تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل. لكن موغيريني، في كلمة لها أمس، أكدت أن الاتحاد الأوروبي ماضٍ في العلاقات الاقتصادية والتجارية القانونية مع إيران رغم الحظر الأميركي، بل يسعى إلى توطيدها، وإن كان التعاون مع طهران «سيكون صعباً» بوجود العقوبات، مذكّرةً بتأكيد الوكالة الدولية للطاقة الذرية المتكرر وفاء إيران بالتزاماتها في الاتفاق النووي.

وأمس، علّقت الخارجية الصينية على الضغوط الأميركية بشأن الحدّ من شراء النفط الإيراني. وقال المتحدث باسم الوزارة، غينغ شوان، إن الصين وإيران «لا تنتهكان التزاماتهما الدولية». وأضاف: «نحافظ على اتصالات وتعاون طبيعيين، وهذا أمر عادل ومنطقي ومشروع ومعقول، لا يوجد شيء في هذا يستحق الانتقاد». وانتقدت الخارجية الصينية العقوبات الأميركية، وأشار شوان إلى أن بلاده «تعارض دائماً الإجراءات الانفرادية وفرض سياسة أي دولة على غيرها من الدول». ويبدو الإيرانيون مراهنين أكثر على التعاون مع بكين، بالمقارنة مع انخفاض الثقة بقدرة الأوروبيين على حماية الاتفاق. وهو ما عبّر عنه بطريقة غير مباشرة وزير الخارجية الإيراني، أمس، بالقول إن دور الصين «محوري» في إنقاذ الاتفاق النووي بعد انسحاب واشنطن منه.

فشل واشنطن في استمالة بكين إلى مجاراة قرارها حظر شراء النفط الإيراني، أكده مسؤولون أميركيون وفق ما ذكرت وكالة «بلومبيرغ» أمس. ونقلت الوكالة عن مسؤول أميركي يشارك في الفريق المشكّل من وزارتي الخزانة والخارجية للضغط على دول العالم بشأن ملف إيران، أن واشنطن فشلت في إقناع الصين بتخفيض استيرادها للنفط الإيراني، على التصريحات الأميركية بهذا الشأن بتغريدة على «تويتر» نشر فيها صورة تبيّن المسافة بين أميركا والخليج. وعلّق بالقول: «يبدو أن قوات البحرية الأميركية غير قادرة في محيط مياهنا على العثور على طريقها، لربما أنها لم تفهم اسمها؛ اسمها هو الخليج الفارسي منذ 2000 عام وأطول بكثير من تاريخ تأسيس الولايات المتحدة»، متسائلاً: «ماذا تفعل القوات الأميركية على بعد 7 آلاف ميل من أرضها؟».

ودخلت واشنطن، أمس، على خط الاحتجاجات التي شهدتها بعض المناطق في إيران. وكتبت الخارجية الأميركية على حسابها باللغة الفارسية: «نحن نتابع الاحتجاجات في أصفهان، وكرج، وشيراز، وطهران، ومدن أخرى من إيران»، مُحمِّلةً الحكومة الإيرانية المسؤولية عن تردّي الأوضاع الاقتصادية. وأضافت الخارجية الأميركية أن «أميركا تدعم صوت الشعب الإيراني».

(الأخبار)

> أكد مسؤولون أميركيون أن بلادهم فشلت في استمالة الصين إلى صفّها

تقرير

روسيا: لم ننتهك عقوبات الأمم المتحدة بشأن كوريا

نفت روسيا اتهامات سيقت ضدها بـ«انتهاك قيود الأمم المتحدة على العمالة الكورية الشمالية»، في وقت أعلن فيه وزير الخارجية الأميركي أن «عمل بيونغ يانغ على برامج الأسلحة يتناقض مع تعهد كيم جونغ أون»

رفضت روسيا اتهام صحيفة «وول ستريت جورنال» لها بانتهاك عقوبات الأمم المتحدة المفروضة على كوريا الشمالية، إذ نقلت وكالة «إنترفاكس للأنباء» الروسية عن السفير الروسي لدى كوريا الشمالية، ألكسندر ماتسيجورا، قوله أمس إن بلاده «لم تنتهك عقوبات الأمم المتحدة التي تقيد تشغيل العمالة الكورية الشمالية ولم تجلب أي عمال جدد من هناك»، مضيفاً أن «أي تصاريح عمل جديدة لعمال من كوريا الشمالية في روسيا صدرت لعمال موجودين بالفعل (في بلده) ويعملون فيها بموجب عقود قديمة».

وكانت الصحيفة الأميركية، قد نشرت أمس تقريراً قالت فيه إن «روسيا تسمح لآلاف العمال الجدد من كوريا الشمالية بدخول البلاد وتصدر تصاريح عمل جديدة فيما يمثل انتهاكاً محتملاً لعقوبات الأمم المتحدة». وذكرت نقلاً عن سجلات وزارة الداخلية الروسية أن «أكثر من عشرة آلاف عامل كوري شمالي جديد سجلوا أسماءهم في روسيا منذ أيلول الماضي»، وتُظهر سجلات وزارة العمل الروسية التي حصلت عليها «وول ستريت جورنال» أن 700 تصريح عمل جديد على الأقل صدرت لكوريين شماليين في روسيا هذا العام. ونقلت الصحيفة عن مسؤولين أميركيين قولهم إن موسكو «ربما تنتهك» عقوبات الأمم المتحدة الرامية إلى وقف تدفق الأموال على كوريا الشمالية، والضغط على بيونغ يانغ للتخلي عن أسلحتها النووية.

وفي السياق ذاته، نقلت وكالة «رويترز» عن متحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية قوله: «من الواضح تماماً أن روسيا بحاجة إلى فعل المزيد. روسيا تقول إنها تريد تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، إذن على موسكو أن تثبت ذلك من خلال التعاون معنا وليس العمل ضدنا، في ما يتصل بهذا التهديد الملحّ لكل الدول». ولفت المتحدث الذي لم تذكر الوكالة اسمه، إلى أن «العمّال الكوريين الشماليين يُقدّر أنهم يرسلون ما بين 150 و300 مليون دولار سنوياً إلى بيونغ يانغ، مطالباً روسيا بالتحرك لتطبق «كل عقوبات الأمم المتحدة التي وافقت عليها فوراً وبالكامل».

من جهة ثانية، وبعد أقل من شهرين على القمة التاريخية التي انعقدت في سنغافورة بين الرئيس الأميركي دونالد ترامب، ورئيس كوريا الشمالية كيم جونغ أون، عاد وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو إليها أمس، وقال إن «مواصلة بيونغ يانغ العمل على برامج الأسلحة يتناقض مع تعهد زعيمها بالتخلي عن السلاح النووي». وفي طريقه إلى سنغافورة سُئل بومبيو عن تصريحه في مجلس الشيوخ، الشهر الماضي، عن أن كوريا الشمالية تواصل صنع وقود للقنابل وعن تقارير تتحدث عن صنعها صواريخ جديدة. وقال بومبيو للصحافيين إن «كيم تعهد بنزع السلاح النووي... العالم طالبها (كوريا الشمالية) بذلك في قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وفي ما يتعلق بتصرفها على نحو يتعارض مع هذا فإنها: أولاً: تنتهك أحد قراري مجلس الأمن الدولي أو كليهما. ثانياً: يمكننا أن نرى أنه لا يزال أمامنا طريقاً يتعين خوضه لتحقيق النتيجة النهائية التي ننشدها».

(الأخبار)

استراحة

كلمات متقاطعة 2934

أفقيا

1- مطرب وملحن مصري راحل واحد أعلام الموسيقى العربية لقبّ بموسيقار الأجيال – 2- اسم حمله ثلاثة من ملوك بلجيكا – للتأوه – 3- مصير ونصيب الإنسان – للتفسير – حجر منقور للماء – 4- طعم الحنظل – مربط السفن على الساحل – أصل – 5- مال عنه – الذي يجمع الأفاعي والحيّات – 6- الأجراس الصغيرة – خاصم اشتدّ الخصومة – 7- عاصمة بيرو – مدينة ومرفأ فرنسي – 8- اسم بوذا في الصين – ما يكتمه الإنسان في نفسه – عائلة مصلح ومفكر اشتراكي بريطاني راحل – 9- موت – للندبة – 10- دولة أوروبية صغيرة بين النمسا وسويسرا عاصمتها فادوز

عمودياً

1- شاعر جاهلي له ديوان – 2- موضع يُجمع فيه الحصيد ويُداس – عائلة مارشال فرنسي راحل تولى الحكم في الهند الصينية ومدغشقر وسط حماية فرنسا على بلاد المغرب – 3- طابق في بناية – مقدار الجسم – انحلّ وذهب الورم – 4- والد – اللقب الديني للإلهة أثينا – 5- عاصمة أنغولا – من أغزر أنهر فرنسا ومن الأنهار الرئيسية في أوروبا – 6- مولود جديد – بئر عميقة – خبز يابس – 7- هدم ودكّ الحائط – ذهبوا الى مكان بعيد – 8- عاصمة أوروبية – 9- صانع تمثال الحرية عند مدخل مرفأ نيويورك – 10- مؤسس الصليب الأحمر لإغاثة الجرحى في الحروب والكوارث

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- احمد خليفة – 2- ملحم زين – 3- الفراق – زكا – 4- نا – جسّ – اودي – 5- ديك – يدلي – 6- راما – إجلال – 7- الات – الدّ – 8- بالنتسا – اب – 9- ور – دلو – صدغ – 10- فيلمون وهبي

عمودياً

1- اندروبوف – 2- حملايا – اري – 3- ملف – كمال – 4- دحرج – الندم – 5- خماسي – أتلو – 6- لزق – داتسون – 7- ي ي – الجّ – 8- فنزويلا – صه – 9- كد – الأدب – 10- مايكل دبغي

2934 sudoku

	1		4					
4		9	8	2			3	
		8	1	3				9
9	4	1		5				6
	2	5	7				1	
			9			3		5
					8		7	
	9			7		8		
		6	3		2			1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 2933

9	1	5	7	3	8	6	2	4
4	7	3	6	2	1	9	8	5
6	2	8	9	5	4	7	3	1
2	9	6	5	4	7	8	1	3
1	5	7	3	8	9	2	4	6
3	8	4	1	6	2	5	7	9
8	6	1	2	9	3	4	5	7
7	4	9	8	1	5	3	6	2
5	3	2	4	7	6	1	9	8

مشاهير 2934

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

محامية وناشطة حقوقية وكاتبة بريطانية من أصل لبناني متخصصة في القانون الدولي والجنائي وحقوق الإنسان. تعمل حالياً كمستشارة قانونية ومحامية دفاع أمام المحاكم العليا في لندن

7+8+2+4+2+6+3+4 = أستاذ المدرسة ■ 4+11+10+9 = مُكابر ■ 5+1+6 = عاتب

حل الشبكة الماضية: **جونز هوبكينز**

إعداد
نعوم مسعود

وفيات

انتقل الى رحمته تعالى المرحوم
البروفسور علي موسى برو
(أبو عمار)
ابناه: عمار، ديالى
أشقاؤه: حسن، حسين، محمد
يقام الدفن يوم السبت الواقع في 4 آب 2018 في تمام الساعة الخامسة عصراً في جبانة الرادوف، الرويس.
تقبل التعازي بعد الدفن في منزل العائلة الكائن في برج البراجنة، خلف البلدية، شارع خضر الحركة.
وتقبل التعازي يوم الأربعاء الواقع في 8 آب 2018 في جمعية التخصص والتوجيه، الرملة البيضاء، مقابل مبنى أمن الدولة، من الساعة الثالثة ولغاية الساعة السادسة بعد الظهر.
الأسفون آل برو وآل هاشم وجميع أصدقائه في لبنان والاغتراب وعموم أهالي النبي رشادة والزرارية.

إنتقلَ إلى رحمةِ ربِّهِ تعالى المأسوف عليه
الحاج داوود محمد مقلّد
أولادُهُ: رئيس بلديّة جرجوع الأخ "علي داوود مقلّد" - الأخ "جاد داوود مقلّد" - "فرح داوود مقلّد" رئيسة دائرة في وزارة المالية
أشقّاؤه: القاضي شبيب مقلّد - والأستاذ حبيب مقلّد و المرحوم فيصل مقلد
الأسفون: آل مقلّد وعموم أهالي بلدة جرجوع
و بهذه المناسبة سيُقام مجلس عزاء حسينيّ وذكرى أسبوع عن روحه الطاهرة وذلك عصر نهار السبت في تمام الساعة الخامسة (حسينية الرجال البيادر وحسينيّة النساء).
أعظمَ اللّه أجورَنا وأجوزكم.
الفاتحة

ذكرى

تصادف نهار الاحد 5 آب 2018 ذكرى مرور أسبوع على وفاة المأسوف على شبابه فقيدنا الغالي المرحوم
طارق حسن شمس الدين
زوجته: ريما عاصي
ولداه: حسن - حسين
شقيقاه: عدنان - الحاج هشام
صهره: الحاج حسن شمس الدين
للمناسبة تتلى عن روحه الطاهرة آي من الذكر الحكيم ومجلس عزاء حسيني في تمام الساعة العاشرة صباحاً في النادي الحسيني لبلدته عربصاليم.
الأسفون: آل شمس الدين - آل عاصي
وعموم أهالي بلدتي عربصاليم والبابلية

في الذكرى السنوية الأولى لغياب الأب الغالي
الأديب الدكتور احمد سهيل غلبي
ولداه الدكتور عمّار ووضّاح
يرجوان كل من عرفه وأحبه أن يذكره في صلواته ومطالعاته وقراءاته لأعماله
ولكم جزيل الأجر والثواب.

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات
الأخبار
هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

إعلانات رسمية

اعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض العائد لتجهيز مجموعة جديدة 3,4 ميغاوات في معمل رشميا المائي، موضوع استدراج العروض رقم ث4ط/11240 تاريخ 2017/11/2، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2018/9/21 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان ـ طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 500/ ل.ل.
علما بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ طريق النهر ـ الطابق «12» ـ المبنى المركزي.
بيروت في 2018/7/31
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 1671

دعوة
يدعو مجلس الإدارة أعضاء الجمعية التعاونية لمربي النحل في غوما لحضور اجتماع الجمعية العمومية يوم الثلاثاء 2018/8/28 الساعة الخامسة بعد الظهر في قاعة كنيسة السيدة - غوما لدراسة جدول الاعمال التالي:
1. الاطلاع على تقريري لجنة المراقبة ومجلس الادارة وعلى الميزانية العمومية الموقوفة في 2017/12/31 والتصديق عليها وتبرئة ذمة مجلس الادارة السابق.
2. انتخاب هيئات ادارية جديدة.
واذا لم يكتمل النصاب تعقد الجلسة الثانية الساعة السادسة في نفس المكان والزمان.
نائب رئيس مجلس الادارة
شاهين شاهين

اعلان
من أمانه السجل العقاري في بيروت طلب رياض سامي الحسين بالاصالة عن نفسه وبوكالته عن كل من اسماعيل سامي الحسين وسامي نايف الحسين سندات تمليك بدل عن ضائع عن حصته وعن حصة موكليه بالعقار 546 مدور.
للمعترض مراجعه الامانه خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

مبوب

مفقود

فقدت رخصة قيادة لبنانية باسم لينا عباس يرجى ممن يجدها الاتصال على الرقم 03/219376

إعلانات
فريحة Freiha
تؤمن إعلاناتكم في كافة المناطق
info@publifreiha.com
01 201 740
01 200 830
الأشرفية
ساسين وما متر

فنون بصرية

أنصاف ابتسامات على وجوهه

موديلياني... الزمن ضدّنا إلى الأبد

لم يعش سوى 36 عاماً. تأثر بافريقيا وبالشواطئ اليسارية في ليفورنو وباريس وبكمبوديا. في إيطاليا عندما نقول موديلياني قد نقصد فرانكو. ا وإليو. إلا أنّ أميديو من تتحدث عنه. الأشهر بين اشتراكيين (موديلياني ليس اشتراكياً) حملوا اسم عائلته أيضاً. إنه الفنان الوحيد في العالم، إلى جانب فان غوغ ربما، الذي يبدو لوحدة أكثر من كونه رساماً. بعد 134 عاماً على ولادته، مازال موديلياني محيّراً. الحزن لا يكفي لتحقيق انطباع عادل تجاهه. وإن كانت العين، كما يقول بسام حجار، لا تحرّك المياه الراكدة في اللوحة، فإن الناظر الى اعمال موديلياني، مازال يشعر أن وجهه يمكن أن يكون وجه أحد آخر

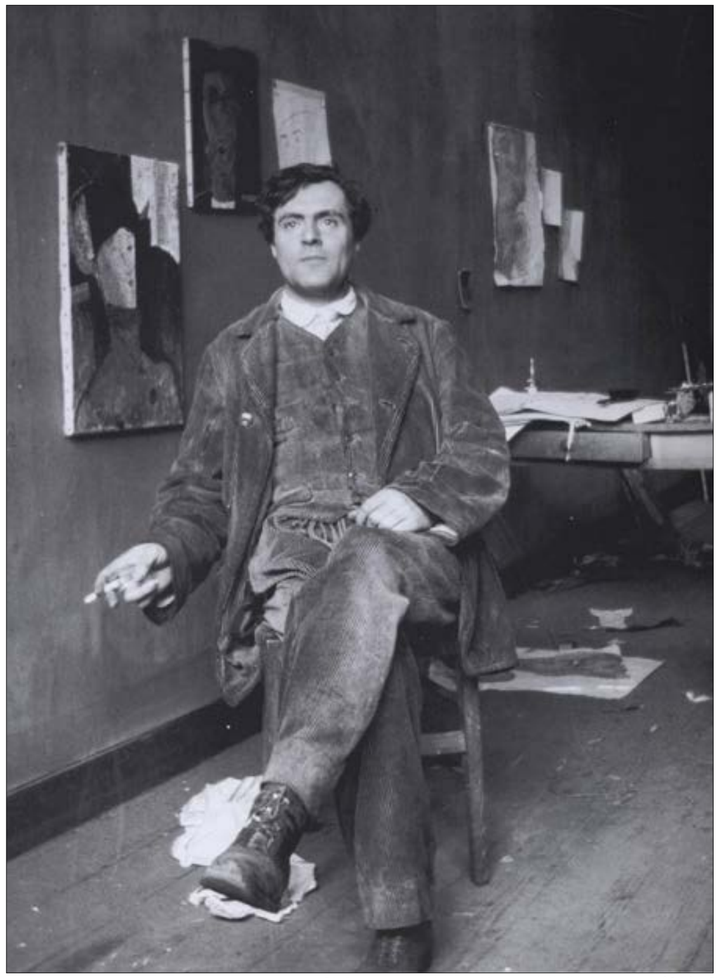

تحدث نيتشه عن اول صورة للإنسان المعاصر، لكن موديلياني رسمها على حقيقتها

أحمد محسن

سيضحك موديليانـي من قلبه، سيفقع من الضحك، عندما يقول أحد النقاد إن لوحات موديلياني لا يمكنها أن تنافس لوحات فان غوغ. فلوحات موديلياني لا يمكنها أن تنافس لوحات موديلياني حتى. لم يكن الرجل تنافسياً. ولم يكن مسكوناً بالحداثة. كان مستعداً لبذل الكثير على سرير العالم. وهذا ما قد يوضح للنقاد أسباب ذهابه إلى المرتع الباريسي. هناك حيث كان يعرّف عن نفسه: «أنا يهودي». ولأنه موديلياني، لم يكن مفهوماً إن كان يفعل ذلك معترضاً على مناخات اللاسامية السائدة في أوروبا آنذاك، أو لأنه لم يكن يأبه بأصله السفرديمي. ذلك أن عائلته التي جاءت من مرسيليا، كانت تقول إنها تعود إلى سبينوزا، وهذا ليس تفصيلاً. الذي غيّر حياته، غالباً، هو لوتريامون. افتراض آخر بين سلسلة افتراضات. قبل «أناشيد مالدورور»، وقبل أي شيء، كان المرض. ما يعرفه النقاد أيضاً أن موديلياني يشبه كافكا، أو هذا أسهل وصف للنقاد العاديين. أن يعرفوه من حياته وليس من أعماله. ولكن ما لا ينتبه إليه كثيرون أن كافكا ولد قبل موديلياني بعام واحد فقط، ومات بعده بأربعة أعوام. كان ممكناً أن يكونا صديقين، لو لم يذهب الرسام الإيطالي إلى باريس، أو لو ذهب كافكا إليها. افتراض جديد. غير أن ذلك ما كان ليجعل موديلياني هو موديلياني، وكافكا هو كافكا. ما جعل لوحات «أميديو» تعيش في الزمن هو تجوالها في الضوء من مونمارتر إلى مونبرناس، غير أن هذا الضوء نفسه هو الذي التهم صاحبها: كان ضوءاً أكبر من أن تستوعبه عينان حساستان. لقد كان يرى العالم بقعاً متطورة من ليفورنو. عدم أكبر من العدم الذي قبله. ليس هناك ما هو استثنائي في أعمال موديلياني، بل كان نفسه استثنائياً، كان حاضراً في جميع لوحاته، متنازلاً ومتساوياً مع جميع الوجوه، حيث كل وجهٍ أشبه بساقية تنبع من الجنوب الشيوعي في ليفورنو، وتصب في باريس المتوهجة بالسواقي التي احتدمت فيما بينها وخسرت جميعها.

لا يحصي موديلياني خسائره ولا أرباحه. يرسم وليست كل النساء في لوحاته امراة واحدة، ولا يشبهن بعضهن. وهذا صار معروفاً. طعم اللوحات في طفرة الأسئلة المتاحة للواقفين خلفها. هل الشبه للحزن؟ سيكون هذا كلاسيكياً ومبخساً. هل الشبه لأن موديلياني كان اشتراكياً من دون أن «يفلق» رؤوس الجميع بإعلان ذلك؟ في لوحاته تستوي الوجوه في طبقةٍ واحدة. لا يوجد أشخاص أعلى وأشخاص أدنى. بالطريقة نفسها يرسم الجميع. لقد كان رسماً اشتراكياً عن قصد أو بدونه يرفض الانصياع لهيمنة القواعد البورجوازية السابقة. لم يخترع البورتريه، جاء ووجد العالم يرسم على هذا النحو. ما اخترعه هو الخلفية التي يقوم عليها البورتريه، بحيث لم يجد أي داعٍ لإظهار ما هو مبهر، أو ما هو مدعاة للتباهي في التقليد البورجوازي. ورغم أن معاصره الشهير، بيكاسو، رسم ريفيرا، كانت له مواقف واضحة انعكست في لوحاته، إلا أن ريفيرا اختار الإعلان عن الموقف، ما جعل العثور عليه في لوحاته سهلاً. أما موديلياني، وعلى عكس ما يعتقد كثيرون، لا تحمل شخوصه رؤيته الوجودية للعالم وحسب، بل تحمل هوية نفسها أكثر من أي شيء، بدون أي تأثير للزمن أو هفوة قد تدل إليه. إنها وجوه مرصعة بشحوب الماضي وأفول المستقبل الذي سيصير ماضياً، وغالباً ما حمّلها موديلياني نصف ابتسامات المسايرة بالتجديد. البورجوازي، الأرستقراطي، العشيقة، المتعرية، جميعهم في طريقهم إلى العدم. أول صورة للإنسان المعاصر تحدث عنها نيتشه، لكن الذي رسمها على حقيقتها، بلا انفعالات أو إضافات حركية مجانية، هو موديلياني. رسمها أمام خلفية متشابهة دائماً بلا تعقيد. لون موشح دائماً خلف البورتريه، كجدار شاحب هو الحياة، والقفز عنه هو الموت. موديلياني لا يرسم المشاهد الطبيعية إلا نادراً، لأن الطبيعة متعالية، وهو أراد أن يعترض على تفسير التعالي. لذلك، فإن ربطة العنق، ورداء المرأة المغمس بالعرق، يستويان على أرض واحدة في أعماله. لا مكان للتعالي في وجوهه، التي يقال إنها أقنعة وليست وجوهاً. ولكن من قال إن الوجوه نفسها ليست أقنعة. وفيما يبدو هذا دفاعاً متسرعاً عن عبثية موديلياني، يجب العودة إلى نيتشه، كما فعل رسامنا نفسه. إزالة العوائق التي يسببها التحليل النفسي، كانت المرحلة التالية بعد مرحلة المسح الطبقي التي يخضع لوحاته لها. مجرّدة تماماً من جميع الاعتبارات الأرضية، ومن النظام بما هو سُلطة، يعلن تمرده عليها بالسخرية منها. وفي لوحاته يعلن أيضاً رفضه للغواية أو لمديحها، أي الاستسلام لما قد يخرج عن طور العرض ويصل إلى درجة الغواية، ذلك لأن لديه ما يقوله: لا طبقات. لا نظام. لا تعالٍ. المتعريات في لوحاته يتعرين من المجتمع، فلا تكتمل أجسادهن حد الوصول إلى الغواية، ولا تنمو إلى حدٍّ يخرجها عن وظيفتها. ما يرسمه هو الأجساد، بينما ما يرسمه الآخرون كان نظرة المجتمع إلى الأجساد. كان متمرداً، وحتى عندما جرّب النحت، جرّبه ضدّ رودان، وضدّ نظريات رودان التي صارت تقليداً في زمانها.

طوال الوقت، كان موديلياني يعترض على الحياة ويتمسك بها. كانت حرباً خاضها وعرفها. بدأت في ليفورنو، وقبل باريس مرت بنابولي وكابري. هناك مع والدته، قبل أن يدرس الفنون في فلورنسا وفينيسيا. كان جان كوكتو يسمّيه «الأرستقراطي خاصتنا»، ومالت إليه أنا أخماتوفا عندما التقاها في بداية القرن العشرين. ولا نعرف إن كانت قد كتبت هذا بعد موديلياني أو قبله: «هذا الألم ليس ألمي/ هذا الألم يفوق طاقتي بكثير/ إنه ألم أحد آخر». رغم أنه كان عبثياً، وأنها كانت عابرة بين عينيه، إلا أنه ربما أعارها الألم، وأورثنا إياه إلى الأبد. ليس لأنه مجرد رسام حساس ينقل الأرواح إلى ما بين البراويز ويطلقها كالفراشات، إنما لأنه سجّل موقفاً لا يبدو أنه قابل للتغيير: العالم سيبقى رأسمالياً، وكل ما يمكن فعله هو الاعتراض. نصف ابتسامات، على طريقة شخوص موديلياني، في فضائها الواحد. كانت الحياة مرضاً طويلاً، وكانت سريراً أيضاً.

> كان رسمه اشتراكياً يرفض الانصياع لهيمنة القواعد البورجوازية

كانت سائدة. لم يكن شيوعياً مثل بيكاسو، لم يكن من الملتفين حول بيكاسو، بل كان نداً له. لم يكن تجريبياً، ولا يوميياً. احترم التكعيب ومدرسة المعلم الإسباني، لكنه رفض أن يكون تلميذاً، على ذات القدر لرفضه للجماعة وتكورات الأفراد في جماعة، لأن ذلك باعتقاده غالباً ما ينتهي بانتصار العناصر المجتمعة على بعضها. اعتمد قاعدة فلسفية مختلفة، وفي المنطق الأرسطي يمكن أن نسمّي ما كان موديلياني يفعله استقراءً، أي العمل مع الجزئيات للوصول إلى صورة واضحة. وهذا ما يفسّر خلاصاته الفنية التي تنتهي بلا تحايل. لم يسع في حياته إلى

> عصره. ومن هذه الزاوية تجعله أعماله فناناً اشتراكياً غير تقليدي، وما يخرجه من هذا الافتراض هو حياته. رفضه الالتحاق بأي مجموعة من المجموعات التي

ساخرة. لا نعرف إلى أي طبقة ينتمي هؤلاء، لأنه لا يجب أن تكون هناك طبقات. كانت هذه طريقته ربما لإعلان موقفه المتكرر من الطبقات ومن القضايا التي شغلت

مهرجان

«وادي الحجير»: «عتبات» التاريخ والمقاومة والفن!

عبدالرحمن جاسم

إنها «مقاومة» ثقافية من نوع خاص، تلك التي يخوضها مدير «مهرجان وادي الحجير» المهندس محمد كوثراني. الرجل عمل طويلاً كمدير لـ«رسالات»؛ تلك المؤسسة التي أنتجت العديد من الأعمال المقاومة، وتركت الأثر الكبير في تقديم المقاومة بصورة جميلة، فقدمت فيلم «أهل الوفا»، ومجموعة «قلم رصاص» القصصية، فضلاً عن العديد من المهرجانات الفنية والثقافية التي عززت ثقافة المقاومة الفنية.

«لا يزال «مهرجان وادي الحجير» في مرحلة الاختبار» يخبرنا كوثراني بدايةً، فالمكان يعتبر «محمية طبيعية تحميها القوانين في لبنان، بعدما سُجّل كمحمية طبيعية واعترف بها رسمياً في عام 2010 عبر مرسوم صادر عن مجلس النواب. هنا يوجد تنوع إيكولوجي» يفاجئنا كوثراني ببحثه عن تفاصيل المكان الذي يرغب في إقامة مهرجانه فيه. يوضح: «يأتي وادي الحجير في منطقة وسطية في جبل عامل، تاريخياً، كان يشكل نقطة رئيسة في الحراك العلمي والسياسي والعسكري. هناك حركة علمية لم تكن عادية في القرون الماضية، ووادي الحجير شكل مفتاحاً لهذه الحركة. لاحقاً، شكل مفتاحاً للحركة السياسية. إنها منطقة غنية جداً بالتاريخ كما هي غنية بالجغرافيا». لهذا السبب إذاً تم اختيارها؟ يغوص عميقاً في الجواب: «الحجير كانت مسرح عمليات غير عادي للمقاومة منذ عام 1920 وفيها 2000 شهيد منذ بدايات المقاومات، بدءاً من صادق حمزة وادهم خنجر وبعدهم السيد موسى الصدر، وصولاً إلى المقاومة اليوم. هي ممر إلزامي للإسرائيلي في أي دخول له إلى لبنان. لذلك اختيار وادي الحجير هو بسبب غناه بالبيئة والتاريخ والمقاومة والجهاد».

ماذا عن مفهوم إلغاء الصمت؟ يشرح لنا: «قلنا نريد أن نقوم بحدث غير صامت في وادي الحجير. فكل أحداثه صامتة. العمليات التي كانت تحدث كانت في الخفاء، وبصمت. حتى «مهرجان وادي الحجير» الشهير الذي عقد هنا في عشرينيات القرن الماضي، حدث بصمت وفي الخفاء بعيداً عن عيون الفرنسيين وأعوانهم. لاحقاً، أتت المقاومة الفلسطينية، ثم اللبنانية، ثم الإسلامية وكلّ عملياتها كانت تتسم بالصمت وعدم الظهور. باختصار، كان ضرورياً أن يكون نشاطنا صداحاً».

هل هذا المهرجان هو تكملة للمهرجانات السابقة التي أقيمت لتقديم «مقاومة» ثقافية من نوع ما؟ يشرح كوثراني عن هذه الأنشطة التي بدأت مع مهرجانات مليتا عام 2005 ليتبعها لاحقاً أول مهرجان في وادي الحجير: «في البداية أقمنا مهرجان «بعض حكاية» (في مليتا)، حيث أحضرنا أوركسترا كشافة الإمام المهدي لتقديم نشاط عزفي. لكننا في الوقت عينه، قدمنا إنشاداً تقليدياً معروفاً، فحضر المنشدان سلمان المولى وحسين زعيتر في الليالي اللاحقة. نجاح المهرجان جعل التجربة تتكرر لاحقاً في مليتا. أما في وادي الحجير، فقد أحضرنا في السابق عملاً أوركسترالياً هو «شمس الحرية»، وفرقة إيرانية اسمها «سر الماء» متخصصة بالموسيقى التقليدية الإيرانية، قدمت عدداً من المقطوعات وقصائد حافظ الشيرازي وفريد الدين العطار والقصائد الفلسفية. لاحقاً، أقمنا أمسية للعازف على البيانو مهتدي الحاج الذي قدّم معزوفات رائعة من Hungarian rhapsodies. كذلك أقمنا أمسية للعازف على الكمان الفلسطيني ماهر سلامة (ابن شقيقة العازف المعروف جهاد عقل)، الذي قدّم موسيقى «زهرة المدائن» بطريقة رائعة سحرت الناس وقتها».

لكن ماذا عن دورة هذا العام من «مهرجان وادي الحجير» التي تنطلق اليوم؟ «هذه السنة، سيكون المهرجان برعاية فخامة رئيس الجمهورية الرئيس ميشال عون، وستكون لدينا ثلاث أمسيات تمتد على ثلاثة أسابيع. الليلة الأولى افتتاحية بعنوان «وسوسة الذهب» (اليوم) وهي عبارة عن مزج أوركسترالي على عادة المهرجان في تقديم موسيقى مماثلة. أحضرنا فرقتين من موسيقى الجيش اللبناني، إحداهما تعزف النحاسيات، فيما الأخرى تعزف

> مسرحية «الحجير إن حكى» يشارك فيها الممثل اللبناني القدير حسام الصباح

على «القربة» (الجربة). كذلك، تشارك فرقة تعزف وتريات من المعهد العالي للموسيقى (الكونسرفتوار)، إلى جانب فرقة تعزف على الآلات النحاسية من كشافة الإمام المهدي. وبالتأكيد هناك كورال مهم معها. كل هذه الأوركسترا سيقودها علي حسن الأستاذ المعروف في المعهد الوطني». طبعاً هنا يُطرح السؤال المهم: لماذا هذه التسمية؟ وماذا يعني «وسوسة الذهب»؟ يضحك كوثراني قبل أن يجيب: «الوسوسة هي صوت الذهب، كما أنّ الوسوسة في المعتاد ليست شيئاً سيئاً، الموسوس هو السيئ. لذلك كُنيت الوسوسة بالسوء». نطرح الأسئلة التي قد يراها بعضهم إشكالية: هل هناك إثناث ضمن الكورال مثلاً؟ «نأمل في السنة القادمة أن تكون هناك مشاركة نسائية. لا مشكلة في صوت المرأة بل نوع الغناء» يجيب بتحديد وبدقة. أما الليلة الثانية (11 آب/ أغسطس)، فتحمل عنوان «عتبات»، وهي عبارة عن أمسية «موسيقية وجدانية، تتجه لناحية النشيد الديني المعاصر». في هذه الأمسية، يحضر المؤدي الموهوب مهدي كلاس كمؤلف للمرة الأولى، إذ يعيد كتابة مقطوعات معروفة محلياً مثل أغنية المقدمة لمسلسل «غريب طوس». يوضح كوثراني: «مهدي سيغني ويعزف، كما أنّ هناك فرقة متمكنة ستعزف وتسانده، ويمكن تصنيف النشاط كنشاط فني إسلامي حداثوي مشابه لتجربة محمد أصفهاني في إيران وسامي يوسف».

أما الأمسية الثالثة (18 آب)، فتسجّل مقاربة جديدة في عالم المهرجان، بدخوله عالم المسرح عبر نصّ كتبه حسن عبدالساتر بعنوان «الحجير إن حكى». المسرحية التي يشارك فيها الممثل اللبناني القدير حسام الصباح بصوت الراوي، تقدم أربع مشاهدات، تدور كل واحدة منها في زمن: «الأولى في زمن السيد عبدالحسين شرف الدين، الثانية في زمن السيد المغيب موسى الصدر، فيما تتسع الثالثة والرابعة وتتركها مفاجأة» يوضح كوثراني. يتولى المسرحية محمد خميس، وهو مخرج واعد يقدّم هنا تجربته الأولى في عمل بهذا الحجم.

يتفاءل كوثراني كثيراً، خصوصاً مع إسراره لـ «الأخبار» بأنّ لجنة المهرجان كما الأخير سيتحولان إلى مؤسسة، وهذا من شأنه أن يضع المهرجان على خارطة المهرجانات المحلية والدولية لبنانياً، عربياً، وعالمياً. «إنه أول مهرجان مقاوم مكتمل العناصر فنياً، يعتمد على العناصر المحلية بشكل كلي، فنحنُ في النهاية نركز على اكتشاف الطاقات المحلية، وإعطائها مساحة كبيرة، وهذا ما سنستمر به لاحقاً».

«مهرجان وادي الحجير»: من 3 حتى 18 آب (أغسطس). للاستعلام: 03/797548

يحضر العودي الموهوب مهدي كلاس كمؤلف للمرة الأولى

الأخبار
al-akhbar
السبت 4 آب 2018 العدد 3533

صورة وخبر

بدءاً من اليوم، ولغاية 28 تشرين الأوّل (أكتوبر)، يفتح معرض Joven Maestro (تنظيم كريستيان باديلا) أبوابه أمام الزوّار في المتحف الوطني في بوغوتا. يوجّه الصرح الفني الكولومبي تحية إلى الفنان فرناندو بوتيرو (1932)، عبر عرض مجموعة كبيرة ومنوّعة من اللوحات والمنحوتات التي أنجزها ابن مدينة ميديين في بداية مسيرته المهنية. (جون فيزكاينو ـ أ ف ب)

بعلبك ترقص وتغني مع جورج خبّاز

في 10 و11 آب (أغسطس) الحالي، يضرب الفنان اللبناني جورج خبّاز (1976 ـ الصورة) موعداً مع الجمهور ضمن «مهرجانات بعلبك الدولية»، حيث يقدّم استعراضه الموسيقي ـ الغنائي الضخم «إلّا إذا...». فبعد ستة أشهر من العروض المستمرة في «الشاتو تريانو» (الزلقا)، تنتقل المسرحية الكوميدية إلى أدراج معبد باخوس. يقارب العمل الواقع اللبناني، إذ يدور في قالب من «الكوميديا السوداء» في مبنى سكني مهدّد بالانهيار، يقع في حي لبناني «غير محسوب سياسياً على أحد»، ويقطنه أشخاص من طوائف وانتماءات سياسية مختلفة، غير قادرين على الاتفاق على حلّ بشأن مصيره!

«إلّا إذا...»: السبت والأحد 10 و11 آب ـ 20:00 ـ أدراج معبد باخوس (قلعة بعلبك). للاستعلام: 01/999666

رحلة محمد الدراجي بحثاً عن «ابن بابل»

بالتعاون مع «نادي لكل الناس»، تدعو مؤسسة «العمل للأمل» بعد غدٍ الإثنين إلى حضور فيلم «ابن بابل» (90 د) في «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت)، على أن يلي العرض نقاش مع مخرجه العراقي محمد الدراجي (39 عاماً ـ الصورة). تدور الأحداث في شمال العراق في عام 2003، بعد أسابيع من سقوط الرئيس صدّام حسين. يرافق الصبي «أحمد» (12 عاماً) جدّته في رحلتها لاكتشاف مصير والده الذي لم يعرفه يوماً ولم يعد أبداً من حرب الخليج. رحلة طويلة سيتقاطع فيها طريقهما مع طرق آخرين يخوضون رحلات ممثالة، وستغيّر حياة هذا الصبي كثيراً.

عرض «ابن بابل»: بعد غدٍ الإثنين ـ الساعة السادسة مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). الدعوة عامة. للاستعلام: 76/309363

مناك ملّاط في Blue Note

روّاد «بلونوت» صاروا يعرفون مناك ملّاط جيّداً. الفنانة اللبنانية المولودة في عام 1987 عوّدتهم على الحفلات التي تقدّم فيها مزيجاً بين السول والبوب والجاز. الموعد سيتكرّر يوم الأربعاء المقبل، حيث تعد الشابة التي عرفها الناس جيّداً بعد مشاركتها في الموسم الثاني من برنامج «للعرب مواهب» (mbc)، بسهرة مميزة. مناك متأثّرة بنجوم عالميين من مختلف الأجيال، أمثال سيرلي باسي، وأريثا فرانكلين، وأيمي وينهاوس، وويتني هيوسن، وإيتا جونز، وإديث بياف... مع العلم بأنها تهوى كذلك الأعمال الشرقية على الرغم من ميلها إلى تلك الغربية.

حفلة مناك ملّاط: الأربعاء 8 آب (أغسطس) الحالي ـ الساعة العاشرة والنصف مساءً ـ Blue Note (شارع المكحول ـ الحمرا). للاستعلام: 01/743857

كلمات

الأخبار al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 4 آب 2018 العدد 3533

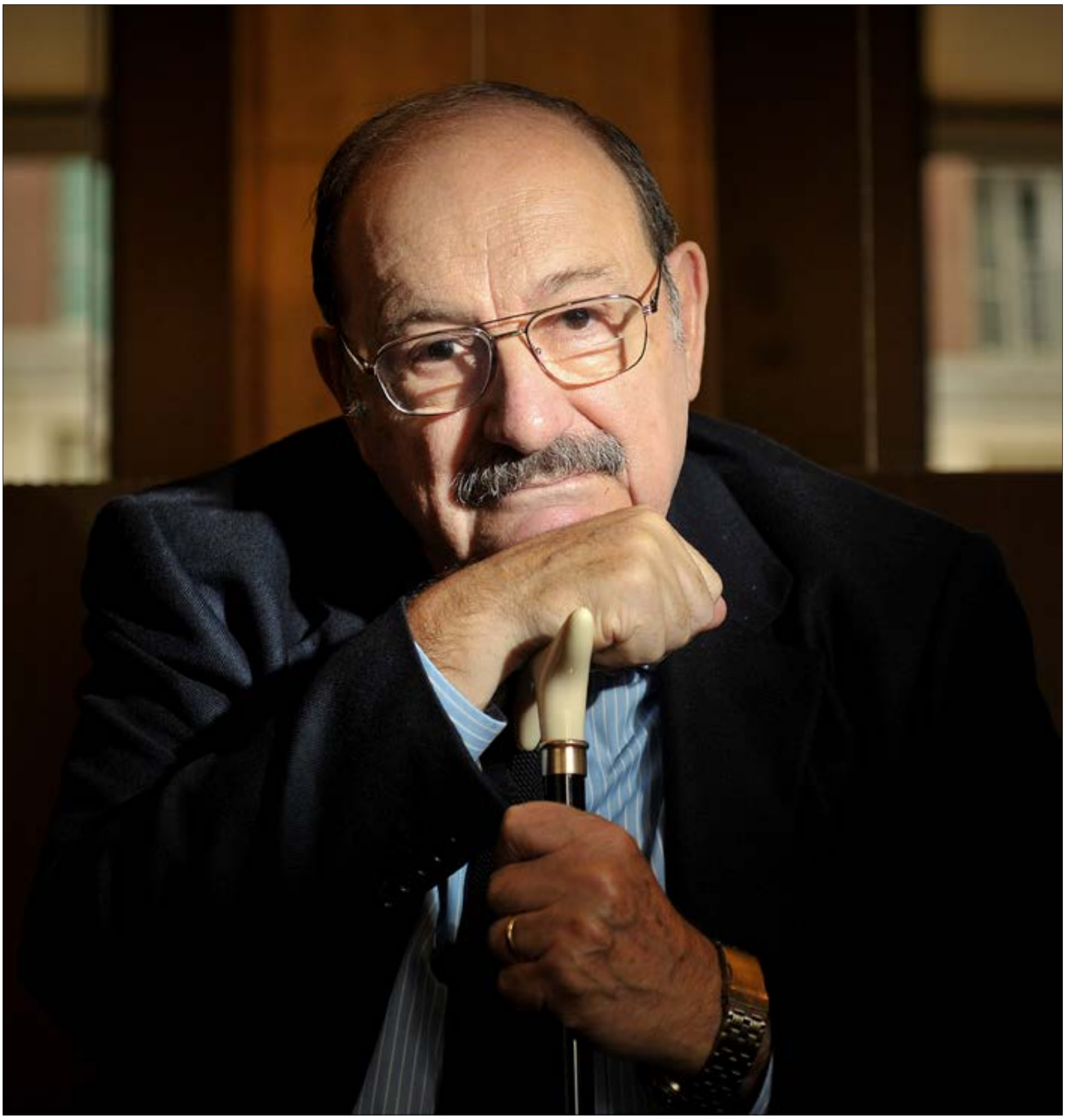

هكذا تكلّم أمبرتو إيكو

خليل صويلح

فرصة ثمينة أن نقع على حوارات أمبرتو إيكو (1932– 2016) في كتابٍ واحد، وننصت مجدّداً إلى إجاباته العميقة، خصوصاً في ما يتعلّق بتأثير وسائط الاتصال على ذائقة المتلقي. هذا الفيلسوف والسيميائي والروائي الإيطالي المولود في الإسكندرية، لطالما مزج بمهارة ما بين معضلات القرون الوسطى وتحديات ما بعد الحداثة، سواء في كتبه أو محاضراته الأكاديمية، وكذلك في حواراته التي لا تقل أهمية عن مسالكه الثقافية الأخرى في تأويل مفردات العصر ووضعها في مقامٍ آخر، من كرة القدم إلى نشرات الأخبار.

في كتاب «هكذا تكلّم أمبرتو إيكو» الذي صدر أخيراً بلغة الضاد (دار ورد– دمشق)، تولى الشاعر الزميل اسكندر حبش ترجمة أبرز حوارات صاحب «اسم الوردة». وإذا بنا أمام حديقة أفكار بثمار مختلفة، أو كما يقول في مقدمته للكتاب «إنها مفاتيح وأبواب تقودنا إلى الدهاليز الخفيّة التي تقبع فيها أفكار الكاتب». عبر 28 حواراً، يحيلنا إيكو إلى أهمية القراءة وقدسية الكتاب الورقي، غير عابئ بخطر الكتاب الإلكتروني، فـ«الكتاب لا غنى عنه، كالدولاب والملعقة والمطرقة». اعتنى بالكتاب الشعبي في أكثر من بحثٍ جدّي، مستعيداً بشغف رواية المغامرة، والرواية البوليسية، والألغاز، كمرجعيات لبعض رواياته، كما يؤكد «إعادة تأهيل النسيان» (روايته «بندول فوكو»/ 1988)، وتفكيك العلاقات الملتبسة بين الأمس واليوم: «لو عاد نابليون لما كان قائد مدفعية، بل كان ينقّب عن الذهب في حقول تكساس» يقول. هذا الاشتغال على المفارقة والإشارة في قراءة التحوّلات المتسارعة، هو جوهر اهتمامات إيكو في إجاباته العميقة لمحاوريه. يقول في تفسير تعدّد اهتماماته: «أنا فيلسوف أعمل بالفلسفة من الاثنين إلى الجمعة، أما في عطلة نهاية الأسبوع، فأكتب الروايات منذ أن كنت في الثامنة والأربعين». إنه «بورخيس» آخر، عاش في متاهة المكتبة وممراتها وكنوزها ومخطوطاتها، قبل أن يتجه إلى كتابة الرواية بوصفه موسوعة متنقّلة، مثقلة بالقواميس والوثائق وألغاز التاريخ: «التاريخ مثل الرواية مصنوع من الأكاذيب». على أن مأثرة صاحب «مقبرة براغ» الأخرى، في حواراته هذه، هي مناوشاته العميقة لتأثير الإنترنت والتلفزيون والصحافة المكتوبة على ذائقة اليوم التي غرقت في الشعبوية إلى حدود الهاوية.

ملف

إيلان بابيه لـ«الأخبار»: دولة ديموقراطيّة واحدة على كامل فلسطين التاريخيّة

ذاع صيت البروفسور إيلان بابيه (مواليد 1954) المؤرّخ الإسرائيلي والناشط السياسي المعروف بمعاداته للنظام الإسرائيلي في بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي بعد سنوات قليلة من إزالة السريّة عن الوثائق الرسميّة الإسرائيليّة المتعلقة بحرب 1948 ومرحلة الإعلان عن قيام دولة «إسرائيل». بابيه مع مجموعة من الباحثين الإسرائيليين ممن أصبحوا يعرفون بـ«المؤرخين الجدد»، درسوا تلك الوثائق ونجحوا في بناء أجزاء من سرديّة نقيضة للسرديّة الرسميّة الصهيونيّة السائدة عن تلك اللحظة المفصليّة من تاريخ فلسطين والشرق الأوسط. أصدر بابيه كتباً عدة هامة تعدّ في مجموعها مصدراً لا غنى عنه في أي محاولة لفهم طبيعة المشروع الصهيوني في فلسطين. وتفكيك الرّوايات التاريخيّة المؤدلجة عن سير الأحداث منذ انطلاقها نهايات القرن التاسع عشر. لكن أكثرها إثارة للجدل كان من دون شكّ كتابه «التطهير العرقي في فلسطين» (2006) الذي يكشف فيه تفصيلياً عن سياسات استراتيجيّة صهيونيّة ممنهجة منذ بدء الاستيطان حتى لحظة إعلان «استقلال إسرائيل» لتطهير فلسطين عرقيّاً وطرد سكانها الأصليين. أمر يرى بابيه أنّه ما زال يدين السياسات الإسرائيلية إلى اليوم. لقيت كتابات بابيه قبولاً واسعاً، وأثارت الكثير من الجدل ومشاعر الصدمة في المجتمع الإسرائيلي. لكنّها أيضاً تعرضت لموجة من الانتقادات والتعنيف التي وصلت إلى حد التهديد بالقتل وحتى الإدانة من الكنيست الإسرائيلي. ففي عام 2008، اجبر على ترك منصبه الأكاديمي في «جامعة حيفا» العبرية، لينتقل من هناك إلى المملكة المتحدة، حيث يدرّس التاريخ في «جامعة إكستر» ويرأس «المركز الأوروبي للدراسات الفلسطينية»، في مقر إقامته في العاصمة البريطانية. التقت «الأخبار» بابيه الذي رأى أن التشريع الجديد الذي صادق عليه الكنيست الإسرائيلي بشأن يهوديّة الدّولة، إنما يمؤسس ويقنون واقعاً قائماً بالفعل. وتحدث عما وصفه بفجوة قيمية بين أجيال يهود العالم، جاءت نتيجة لهذا التشريع العنصري الجديد. ورأى أنّ المزيد من اليهود، ولا سيّما الجيل الشاب الواعي منه، سيجدون أنفسهم الأوفر للشروع في مساءلة الأيديولوجية الصهيونيّة برمّتها.

تقديم وحوار **سعيد محمد**

مقاومة مشروع الاقتلاع والاحلال

وليد شرارة

إيلان بابيه أكثر من مجرّد مؤرّخ جديد إسرائيلي. ارتبطت ظاهرة المؤرّخين الجدد في الكيان الصهيوني بشكل وثيق بمناخات «التسوية التاريخية» للصراع العربي ـ الإسرائيلي التي سادت في أواخر ثمانينات القرن الماضي وبداية تسعيناته. اعتبر هؤلاء، وجلّهم من أنصار اليسار الصهيوني أو «ما بعد صهيونيين» في أحسن الأحوال، كتوم سيغيف وسيمحا فلابان وبيني موريس (عاد وارتد إلى مواقف صهيونية متطرّفة بعد اندلاع الانتفاضة الثانية) أنّ المناخات المذكورة تتيح لهم البدء، بالقيام بدورهم الفعلي كمؤرخين ومراجعة السردية التاريخية الرسمية الإسرائيلية وأساطيرها التأسيسية عن «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» وعن «رحيل الفلسطينيين بطلب من الدول العربية» وعن جيل الآباء المؤسسين الذي «حوّل الصحراء إلى أرض خضراء مزهرة» وغيرها من التزّهات.

لم يكن هدفهم التشكيك بمشروعية الدولة الصهيونية عبر الكشف عن «خطيئتها الأصلية» حسب تعبير أحدهم ـ أي تهجير الفلسطينيين عبر عمليات قتل وترويع واسعة النطاق ـ وعن ارتباطها الوثيق بالقوى الاستعمارية الغربية وتواطؤ عدد من النظم الرجعية العربية معها منذ بداية المواجهة في فلسطين. غايتهم الكبرى كانت «تطعيم» إسرائيل أي المساهمة في تحوّلها إلى دولة قابلة للتعايش مع محيطها في سياق إقليمي ودولي بدا فيه الحل التفاوضي للصراع العربي ـ الصهيوني على قاعدة مبدأ «الأرض مقابل السلام» على مرمى حجر أو أدنى. أقصى ما ابتغاه هؤلاء هو المساهمة من موقعهم كمؤرخين، على المستوى الفكري والثقافي، في خلق الظروف المؤاتية لإنجاح «المصالحة» بين العرب والإسرائيليين.

لم يشاطر إيلان بابيه معظم المؤرّخين الجدد خلفياتهم وأهدافهم. هو في الأساس مناضل معادٍ للصهيونية ومدافع عن القضية الفلسطينية أدرج عمله كمؤرخ في سياق المعركة الايديولوجية والسياسية مع دولة إسرائيل وأجهزة دعايتها. مجمل مساهماته، وبشكل خاص كتابه الهام «التطهير العرقي في فلسطين» (عبر إلقاء الضوء على حقيقة أنّ تهجير الفلسطينيين لم يكن نتيجة مباشرة لاندلاع الحرب والعمليات العسكرية بل تم وفقاً لخطة معدّة سلفاً من القيادات الصهيونية). أظهرت بوضوح الطبيعة الاستعمارية الإحلالية والعنصرية للمشروع الصهيوني. بابيه، على خلاف غيره من الإسرائيليين المعارضين لسياسة دولتهم تجاه الفلسطينيين باعتبارها سياسة احتلال واستيطان وتمييز عنصري، مدرك لخصوصية وفرادة المشروع الصهيوني كمشروع استيطان إحلالي يسعى عبر وسائل وأدوات متعدّدة عسكرية وأمنية واقتصادية وقانونية إلى استمرار عملية الاقتلاع التدريجي للفلسطينيين من أرضهم، حتى ولو تمّت على نار هادئة، وإحلال المستوطنين الصهاينة في مكانهم. من الممكن المقارنة بين بعض قوانين وسياسات الكيان الصهيوني ونظام الفصل العنصري الذي كان سائداً في جنوب أفريقيا كما هو الحال بالنسبة إلى القانون العضوي الجديد الذي صوّت عليه الكنيست الإسرائيلي مؤخراً والذي يمأسس ويقنون التمييز العنصري الذي كان قائماً بالفعل قبل هذا التصويت. لكن الغاية النهائية لهذا القانون ليست نفسها في الحالتين. ففي جنوب أفريقيا، كان الهدف هو الحفاظ على احتكار الأقلية البيضاء للسلطة والثروة والفصل العنصري بينها وبين الجماهير الأفريقية السوداء، واستغلال هذه الأخيرة كأيدٍ عاملة رخيصة.

نظام الفصل العنصري كان نمطاً من أنظمة السيطرة والتحكم والاستغلال الوحشية والبدائية التي درج المستعمرون على فرضها في بقاع كثيرة من جنوب العالم في القرون الماضية. لكن نظام الابارتيد لم يهدف إلى طرد الجماهير الأفريقية من أرضها وأماكن حياتها. أما في فلسطين، فإنّ الغاية النهائية للقانون الأخير هي الاستمرار في عملية خنق الفلسطينيين على مستوى الحياة اليومية وكجزء مكمّل لسياسات الاستيطان والضم والتهجير والاستيلاء على الموارد وقتل وتهجير السكان والنخب بقدر ما تتيحه الظروف ضمن منطق «أرض أكثر وعرب أقل» الذي حكم المشروع الصهيوني منذ انطلاقته.

بعكس جنوب أفريقيا، الأرض هي محور الصراع بين الشعب الفلسطيني والاستعمار الاستيطاني الصهيوني. هل يمكن في سياق كهذا استلهام نموذج الحل الجنوب أفريقي القائم على إلغاء نظام التمييز العنصري والسماح بوصول المؤتمر الوطني الأفريقي إلى السلطة ضمن عملية مقايضة مع الأقلية البيضاء سمحت بالحفاظ على قدر هائل من امتيازاتها ومصالحها على حساب الجماهير الأفريقية الغفيرة التي لم تتحسن ظروف عيشها نوعياً؟ هل يمكن للفلسطينيين إيجاد حلفاء وازنين داخل المجتمع الإسرائيلي، الذي أصبح للتيارات الفاشية القومية والدينية هيمنة راسخة على أوسع قطاعاته، للنضال المشترك من أجل دولة ديمقراطية واحدة؟ هل يشكل مشروع الدولة الواحدة كما يعتقد إيلان بابيه أفقاً واقعياً للنضال الفلسطيني اليوم؟ طبيعة الصراع، باعتباره صراعاً متمحوراً أساساً حول الأرض وحقيقة المجتمع الإسرائيلي الاستعماري العنصري الذي دخل منذ أكثر من عقدين في مسار التحوّل نحو الفاشية، كما أقرّ رئيس الكنيست الأسبق إبراهام بورغ أو عالم الاجتماع باروخ كيمرلنغ، تدفعان للتشكيك بقوّة بهذه الفرضية. لكن الخلاف حول الحل الفعلي للصراع في فلسطين، لا ينتقص بتاتاً من أهمية مساهمات بابيه الفكرية والسياسية، ومن دوره المميّز في دعم نضال الشعب الفلسطيني.

■ تبدو مصادقة الكنيست الإسرائيلي أخيراً على قانون يمنح حقوقاً حصريّة لليهود في تقرير مصير الدّولة، كلحظة رمزيّة مهمّة في سياق تطوّر المشروع الصهيوني في فلسطين. كيف يرى إيلان بابيه هذه اللحظة، ولا سيّما أنّ وجهة نظركم منذ وقت طويل هي في إمكان قيام دولة واحدة ثنائيّة القوميّة كحل نهائي للقضيّة الفلسطينية؟

- **التشريع الجديد يمؤسس ويقنون واقعاً قائماً بالفعل. «إسرائيل» دولة عنصريّة تُخضع تحت حكمها فئات عدة من الفلسطينيين: سكان قطاع غزّة المحاصر منذ عام 2006، فلسطينيو الضفّة الغربيّة الذين هم إما تحت الحكم العسكري، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، الفلسطينيون في القدس الذين ربما يتمتعون بدرجة معينة من حريّة الحركة، لكنهم دوماً تحت خطر التهديد الدّائم بالترحيل نحو الضفّة الغربيّة، وأيضاً المواطنون الفلسطينيّون في «إسرائيل» الذين يملكون حقوق التصويت والإنتخاب، لكنهم يتعرضون للتمييز العنصري في كل مناحي حياتهم الأخرى، بينما هامش الحركة الذي يمتلكونه في البرلمان محدود للغاية. التشريع الجديد يوحّد كل هؤلاء الفلسطينيين تحت فئة واحدة ويحرمهم من حق الإرتباط بفلسطين، ويرفض هويتهم القوميّة، ويحدد أماكن إقامتهم خارج المناطق المخصصة حصراً لليهود، ويهمّش تراث ثقافتهم العربيّة. هذا يعني في المستقبل أن الفلسطيني إما أن ينتهي للعيش في دولة الفصل العنصري الإسرائيليّة أو في بانتوستان رام الله أو في غيتو غزّة. لقد أصبح جليّاً الآن أنّ البديل الوحيد لهذا الواقع الذي يقوننه التشريع الجديد، هو دولة ديموقراطيّة واحدة على مجمل فلسطين التاريخيّة. وللحقيقة، فإن الفلسطينيين، على يد «منظمة التحرير الفلسطينية»، قدموا تنازلاً هائلاً بقبولهم المستوطنين اليهود ـ في جيلهم الثالث الآن ـ كمواطنين يتساوون في الحقوق معهم في فلسطين التاريخيّة. أمر يمثّل أساساً ممتازاً للشروع في بناء دولة تضم الفلسطينيين واليهود معاً، ينبغي لها أن تقبل مبدأ عودة من يرغب من اللاجئين الفلسطينيين إلى بلادهم.**

■ من الجليّ أن النظام الإسرائيلي ينزع عن جلده بهذا التشريع الجديد تلك الهالة المزعومة عن «إسرائيل» بوصفها واحة للديموقراطيّة في قلب صحراء ديكتاتوريّات الشرق الأوسط، بل هو يضعها في مكانها كمجرد وجه آخر في زحام المجتمعات الغريبة المبتلية هذه الأيّام بموجة صعود الفاشيّات الجديدة. هل تبقى هنالك لهذه الدولة أي أسس أخلاقيّة كي تحظى بتأييد يهود العالم؟

- قطعاً لا. أنا أتفق تماماً مع فكرة أن **هذا التشريع الجديد ينبغي أن يدفع أي يهودي لديه مثقال ذرة من ضمير أخلاقي، إلى التساؤل عن ماهيّة الملابسات التي يجب أن تدفعه ـ أو تدفعها ـ لسحب ذلك التأييد التلقائي للدولة العبريّة. لقد اعتقدت دائماً بأن لحظة قيام دولة «إسرائيل» على أساس التطهير العرقي ضد الفلسطينيين عام 1948، كانت كافية لدفع اليهود حول العالم إلى اتخاذ موقف متحفّظ منها. لكن ذلك ربما كان صعباً في أجواء الهولوكوست الذي لم يكن قد مضى على الكشف عنه أكثر من ثلاث سنوات حينها. لكني الآن على أتمّ الثقة بأنّه في ظلّ هذا التشريع الجديد، سيجد اليهود، ولا سيّما الجيل الشاب الواعي منه، وفي الولايات المتحدة بالذات، أنه بات من الصعب الاستمرار في تأييد سياسات الدولة العبريّة، بل ربما أن الأوان للشروع في مساءلة الأيديولوجية الصهيونيّة برمتها.**

■ **هل يمكن القول بأن الخيارات السياسيّة لليهود الأميركيين دفعت النظام الإسرائيلي عن نحو متزايد باتجاه الشعبويّة الفاشيّة، أم أن تأثير «إسرائيل» على اليهود الأميركيين هو الذي دفعهم للوقوف وراء سياسات سياسي شعبوي على شاكلة الرئيس دونالد ترامب، مَن يقود مَن هنا؟**

- **أنا على اقتناع بأن هنالك تحولاً قيمياً بين الأجيال عند اليهود الأميركيين. لقد نجحت «إسرائيل» في تحشيد تأييد يهود أميركا منذ الخمسينيات من خلال تأسيس لوبي ضاغط أثبت فعاليّة شديدة (الإيباك AIPAC)، وحملة دائمة للترهيب الممنهج والمبالغ به ضد كل ما يمكن أن يصنّف تحت مظلّة العداء للساميّة في الولايات المتحدة، إلى جانب الترويج على أوسع نطاق لفكرة أن الدولة العبريّة هي التأمين الوثيق ضد هولوكوست آخر. لكن إسرائيل في القرن الحادي والعشرين، لا تبدو مؤهّلة بعد للقيام بدور التأمين ضد الهولوكوست، وبفضل انتشار الإنترنت، فإن الجيل الشاب من اليهود يعلم جيّداً حقيقة ما يدور على الأرض، ويجد بشكل متزايد صعوبة جمّة في قبول التماهي مع «إسرائيل».**

■ **إلى جانب كونك أهم «المؤرخين الإسرائيليين الجدد»، فإنك تبدو كأنك آخر من بقي صامداً منهم بعد انتهاء تلك الفترة الوجيزة من أجواء التسامح النسبي في التسعينيات قبل تولي اليمين الإسرائيلي السلطة بعدها، حتى لحظتنا الرّاهنة. هل لا تزال هناك فسحة لكتابة أو قراءة «تاريخات جديدة» في المجتمع الإسرائيلي الذي تتآكله مناخات العنصريّة الفاشيّة المتصاعدة؟**

- **لقد كانت الإمكانيّة الوحيدة للتغيير من الداخل ولا تزال تكمن في أن تسهم جهود التاريخ الجديد بأن يرى أولئك اليهود في فلسطين الذين يصنفون أنفسهم كيسار صهيوني (وهذه تسمية متناقضة تشبه قولنا بوجود دولة فصل عنصري ديموقراطية) أن عليهم أن يناضلوا مع الفلسطينيين لتغيير النظام الإسرائيلي، وبالتالي معاداة المشروع الصهيوني، تماماً كما فعل بعض ذوي البشرة البيضاء الذين التحقوا بحزب المؤتمر الأفريقي إبّان مرحلة النضال ضد نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. إن ذلك ليس بالأمر السهل بالطبع، وسيستغرق وقتاً لكنه لا يزال في حيّز الممكن، على أنّ جهوداً على الجانب الآخر مهمة، كذلك كأنشطة المقاطعة الثقافيّة والأكاديميّة وربما تصور فلسطيني واضح بشأن شكل المستقبل.**

■ لا يزال البعض في اليمين الإسرائيلي يبرر شوفينيّة النظام وثقافة كراهيّة الآخر بما يسمونها «حالة العداء التي تعيشها إسرائيل بين جيرانها في الشرق الأوسط». عن أي أعداء يتحدث هؤلاء، الأردن؟ مصر؟ السعوديّة؟ ما تفسيرك لهذا الجنون غير المبرر وغير الواقعي؟

- من أجل الاستمرار في الحصول على تأييد الناخب الإسرائيلي للسياسات التي تنزع الصفة الإنسانيّة عن الفلسطينيين وتدفع معهم، فإن النظام الإسرائيلي يلجأ بشكل دائم إلى تخليق الأعداء وإشاعة مناخات العيش في ظلّ الحصار. إدارة الخوف هذه تمكّن النظام من خنق أيّ انتقادات بوصفها شكلاً من أشكال الخيانة، بينما صيغة الصراع المستمر تبرر سيطرة العسكريتاريا على الدّولة وتحكمها الكلّي بهويتها وسياساتها معاً.

■ أنت تفضح تهافت أسطورة أنّ إسرائيل في حرب الـ 1948 حققت انتصاراً نوعياً على نسق انتصار ديفيد اليهودي على غولياث عربي من خلال تأكيدك الحاسم على أن تلك الحرب نظمت بالتواطؤ بين الوكالة اليهوديّة (الجهاز التنفيذي للحركة الصهيونيّة) والمملكة الهاشميّة، لكنك تصمت عن دور للهاشميين في تحقيق انتصار سهل لإسرائيلي في حرب الـ 1967. هل هذه مرحلة لا تزال بحاجة إلى الانتظار حتى يتم كشف السريّة عن المزيد من الوثائق الإسرائيلية حولها؟

- **بالفعل، نحن لا نزال في زاوية مظلمة في ما يتعلّق بالدّور الذي قام به الهاشميّون في 1967، على أنني ذكرت في «أكبر سجن في العالم ـ تاريخ الاستعمار الاستيطاني منذ عام 1967» أن الأردنيين وفروا من خلال مشاركتهم الشديدة الرمزيّة في جهود الحرب، الذريعة لإسرائيل لإجتياح الضفّة الغربيّة وتحاملها.**

■ تذكر مصادر تاريخيّة متقاطعة أن عبد الله الأوّل ـ أول ملك أردني ـ التقى على أصدقائه في الوكالة اليهوديّة وفي مناسبات عدة بأن يتولى الهاشميون عرش مملكة واسعة تضم الأردن وفلسطين معاً بحيث يتعايش فيها اليهود والعرب في دولة ثنائيّة القوميّة (على غرار النموذج البلجيكي). لكن قيادات الجيل الإسرائيلي الأول استبعدت وقتها الفكرة بالكامل. هل كان ذلك خطأ استراتيجياً ارتكبته القيادة وتسبب على نحو ما في وصول المشروع الصهيوني إلى هذه الحالة المعقّدة من انعدام الأفق سياسيّاً وثقافيّاً واقتصادياً؟

- **ليس على الأقل من وجهة النظر الإسرائيليّة. المشروع الصهيوني في خلاصته، هو حركة استيطانيّة كولونياليّة أشبه ما تكون بحالة الأوروبيين الذين استوطنوا أميركا الشماليّة. الصهاينة اعتبروا الأرض التي شرعوا في استيطانها منذ نهايات القرن التاسع عشر، بمثابة حق حصري لهم، وبأن الفلسطينيين، أصحاب البلاد الأصليين، هم حفنة من الغرباء. «إسرائيل» اليوم كدولة استيطانيّة، لا تزال تقوم على المنطق ذاته الذي حكم كل حركة استيطانيّة أوروبيّة: حيازة الأرض خالية من سكانها الأصليين، وهي مستمرة في العمل على تحقيق تلك الرؤية بعد سيطرتها شبه الكليّة على الأراضي الفلسطينية إثر حرب الـ 1967 وإن كانت تواجه تحديّات جمة الآن بسبب صعوبة التعامل مع الواقع الديموغرافي في فلسطين التاريخيّة.**

■ لقد دفعت بحقيقة أن المشروع الصهيوني في فلسطين، كحركة استيطان كولونيالي غربي إلى واجهة النقاش العام. ماذا تعني تلك الحقيقة على المدى الطويل للفلسطينيين الذين يعيشون راهناً تحت أشكال متفاوتة من الهيمنة الإسرائيليّة، ولا سيما بعد التشريع الأخير؟ هم بالتأكيد لن يتبخروا، وليس بإمكان الإسرائيليين الاستمرار بتجاهلهم وتغييبهم طويلاً، فأين سيذهبون؟

- **ينبغي على الفلسطينيين أن ينظروا في تاريخ نضالاتهم ونجاحهم في البقاء على أرضهم في مواجهة حركة استيطانيّة كولونياليّة دعمها الغرب كلّه، ويشعروا بقيمة ما حققوه من إنجاز هائل بكل المقاييس. الخطوة التالية الآن هي في تغيير النظام الإسرائيلي، لكنّ الفلسطينيين يفتقرون بشدة إلى الوحدة ولا يمتلكون تصوراً محدداً عن شكل المستقبل. حين يتحقق هذان الأمران، تصبح مسألة تكثيف الرأي العام العالمي ـ وحتى استدعاء دعم جزء أساس من الصورة. لكن على المنحى الآخر، فإن حركة «حماس» تحديداً إلى جانب كونها جزءاً من تيار الإسلام السياسي، هي مع ذلك حركة اجتماعيّة استقطبت كثيراً من التأييد بين الفلسطينيين، ولا سيّما بعد فشل الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة ـ العلمانيّة ـ في تحقيق إنجازات على الأرض وتورطها في اتفاقيّة أوسلو العفنة. وهي تقود بعض الفلسطينيين على الأقل في مواجهتهم لسياسات القهر الإسرائيلي. أنا كنت آومن بشدة، ومعجباً بالحركات اليساريّة العربيّة في السبعينيّات وتراثها النضالي الذي يمكننا بالتأكيد تجديده في وقت ما، ربّما مع تفهّم أكثر هذه المرّة لثقافة المجتمع وتقاليده وتدينه العميق من أجل استيعاب الجميع.**

■ تتحدّث عن تحولات في موازين القوى بين السرديّات حول تاريخ فلسطين المعاصر: سرديّة صهيونيّة رسميّة في مواجهة سرديّة فلسطينيّة نقيضة. لكن، هل يمكننا بالفعل التحدث عن سرديّة فلسطينيّة في الوقت الذي تحتكر فيه النخب الإجتماعيّة المهيمنة على الجانبين روايات تكرّس بشكل أو آخر أوضاعاً قائمة؟

- **السّرديات التاريخيّة في جوهرها ليست إلا حكايا بسيطة، فيها بداية ونهاية وأبطال يواجهون أشراراً. وهي لذلك يمكن أن تكون مشتركة بين أطفال الرّوضة وبروفيسورات الجامعات (في هيكليتها الأساسيّة وإن اختلفت بالطبع في عمق التفاصيل). من هذا المنطلق، فإن هنالك سرديّة فلسطينيّة شديدة الوضوح عمن هم الفلسطينيون، وماهيّة الصهيونيّة، وما الذي حصل في 1948، وما طبيعة النضال الفلسطيني منذ ذلك الحين. هذا لا يعني بالضرورة عدم تقبل تعدد وجهات النظر في قراءة هذه السرديّة من مستويات رؤى طبقيّة أو دينيّة أو حتى جغرافيّة. فكل حركات التحرر الوطني، امتلكت دائماً سرديّة فوقيّة عامة في موازاة قراءات على مستويات مختلفة لذات السرديّة. وكثيراً ما كان تباين مستويات القراءة هذا ذخيرة للمنازعات الداخليّة بين الأفرقاء داخل الحركة الواحدة.**

■ في الفصل المخصص للحديث عن الاقتصاد السياسي لإسرائيل في كتابكم الأخير «إسرائيل» (2018 ـ Routledge) تصفون كيف أن المشروع الصهيوني الذي بدأ بملامح اشتراكيّة انتهى اليوم إلى نموذج متطرّف لهيمنة القلّة في الرأسماليّة المتأخرة. لماذا لا يتسبب ذلك في صعود يسار إسرائيلي يمكن أن يوحد بين الطبقات المهيمن عليها في مواجهة الاحتكار الاقتصادي على الأقل؟

- **بوصفي كنت شخصياً ضمن حركة «حداش» (الجبهة التقدميّة للسلام والمساواة)، أجد نفسي في مكان مناسب جداً للإجابة عن هذا السؤال. لقد حددنا كحركة يسار ماركسي اشتراكي طبقتنا العاملة ـ إذا شئت ـ في إطار المجتمع الإسرائيلي بالمجموعة اليهوديّة المنحدرة من جذور عربيّة هاجرت إلى «إسرائيل» من العالم العربي في مراحل مختلفة، لكننا فشلنا فشلاً ذريعاً في استقطابهم أو تمثيلهم. لقد استثمرت الدولة الاشكنازيّة بلا هوادة في جهود تفكيك عروبة هؤلاء المهاجرين اليهود وإقناعهم بأن التحوّل إلى يهود جدد (على النسق الصهيوني) يستدعي منهم اتخاذ مواقف معادية واضحة ضد كل ما هو عربي. لكن الوقت ليس متأخراً بعد لاستعادة هؤلاء، وهي مسألة يجب أن تكون على رأس مهمات اليسار الإسرائيلي. كما قلت في كتابي، فإن الاقتصاد الكلّي لإسرائيل مزدهر بالمقاييس كافة، لكن الفجوة بين الفقراء (وغالبيتهم من اليهود الغرب) والأغنياء تتسع بشكل دراماتيكي يوماً بعد يوم.**

■ من الملاحظ أنك من أشد المؤمنين بقدرة حركات مقاطعة إسرائيل، ولا سيّما BDS على تعرية الأسس اللاأخلاقيّة للنظام الإسرائيلي. كيف تقوّم فاعليّة هذه الجهود إلى الآن؟

- **أعتقد أن حركة BDS كانت ناجحة ومؤثرة بشكل كبير حتى الآن. لقد تمكنت من دفع قطاعات مهمة من المجتمع المدني العالمي إلى بعث رسائل قاسية للإسرائيليين المرتبطين بالنظام بأنهم غير مرحب بهم ما لم يعارضوا أيديولوجيّة النظام وسياساته. في هذه القطاعات جامعات واتحادات عماليّة وكنائس مؤثرة، إضافة بالطبع إلى تمتع الحركة بتأييد متزايد داخل المجتمعات اليهوديّة عبر العالم. لقد جعلت BDS من موضوع إظهار التضامن مع الفلسطينيين أمراً عملياً، ولا شك في أن قيمتها ستتضاعف في تحقيق التغيير على أرض الواقع، فيما لو تمكنت حركة التحرر الفلسطيني من صياغة مشروع للتحرير ينتمي إلى واقع القرن الحادي والعشرين، يستشرف صورة واضحة عن غاية النضال النهائيّة.**

حركة مقاطعة إسرائيل BDS ناجحة وموثرة بشكل كبير حتى الآن

> **المشروع الصهيوني حركة استيطانية كولونياليّة تشبه حالة الأوروبيين الذين استوطنوا أميركا الشماليّة**

السياسات ذات النَفَس العنصريّ مع الإحتفاظ بعضوية نادي الدّول التي تزعم التحضّر. وهي لتحقيق ذلك تستمر في ممارسة ضغوط هائلة على السياسة الأميركيّة من خلال اللّوبي الصهيوني، وتمثّل ورقة العداء للساميّة في أوروبا، بينما تغوي الأنظمة العربيّة بقدرتها على التوسط لها مع الولايات المتحدة الأميركيّة.

■ تستمر في توصيف «حماس» كحركة مقاومة في مواجهة المشروع الصهيوني، رغم تعدد الإشارات والمصادر عن علاقات عميقة للإسرائيلي مع الإسلام السياسي منذ بدايات المشروع الأميركي في أفغانستان، وعن سياسات رسميّة علنيّة وسريّة تتغاضى عن صعود الإسلام السياسي على الساحة الفلسطينيّة على حساب الحركات اليساريّة أو القوميّة. ما هي وجهة نظرك؟

- **هي دون شك حقيقة تاريخيّة أن صعود ما يسمى الإسلام السياسي حظي بدعم وتأييد من الغرب عموماً، ومن قبل إسرائيل في إطار الواقع الفلسطيني. لقد بنى الطرفان ـ الغرب وإسرائيل كلاهما ـ نوعاً من تحالف وثيق مع الإسلاميين في مواجهة الحركات الوطنيّة واليساريّة التي تتسبب لهما بالصداع وتثير المخاوف. هذا التحالف بالتأكيد جزء أساس من الصورة. لكن على المنحى الآخر، فإن حركة «حماس» تحديداً إلى جانب كونها جزءاً من تيار الإسلام السياسي، هي مع ذلك حركة اجتماعيّة استقطبت كثيراً من التأييد بين الفلسطينيين، ولا سيّما بعد فشل الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة ـ العلمانيّة ـ في تحقيق إنجازات على الأرض وتورطها في اتفاقيّة أوسلو العفنة. وهي تقود بعض الفلسطينيين على الأقل في مواجهتهم لسياسات القهر الإسرائيلي. أنا كنت آومن بشدة، ومعجباً بالحركات اليساريّة العربيّة في السبعينيّات وتراثها النضالي الذي يمكننا بالتأكيد تجديده في وقت ما، ربّما مع تفهّم أكثر هذه المرّة لثقافة المجتمع وتقاليده وتدينه العميق من أجل استيعاب الجميع.**

ملف

كيان ملتبس في فضاء ملتبس

سعيد محمد

بعد مرور قرن على تشكّل دول الشرق الأوسط المعاصر، لا تزال تلك التشكيلات السياسيّة الملتبسة التي تركها الإستعمار الغربي موضوع جدل دائم بشأن حدودها، وهويتها القوميّة، وشرعيّة أنظمتها الحاكمة، وطبيعة العقد الإجتماعي ـ إذا كان هنالك ثمّة من عقد ـ الذي ينظّم علاقة تلك الدّول بمواطنيها، في الوقت الذي لا تساعد فيه السرديّات التاريخيّة المتوفرة كثيراً في فهم الواقع الحالي لتلك الكيانات في فضاءات السياسة والاقتصاد والثقافة والعلاقات الدوليّة. فمعظم تلك السرديّات نصوص مؤدلجة، مسيّسة، مؤسطرة صاغتها الطبقات المهيمنة التي عُهدت إليها إدارة المناطق التي حددها المستعمرون بمن تصادف وجودهم من السكان الأصليين أو العابرين ضمنها. وهي جميعها تقريباً تنتسم بانعدام مريب للدقّة التاريخيّة، وبغلبة الاجتزاء والتزييف، مع غياب شبه كليّ ـ أو تغييب ـ للوثائق والمواد التي يمكن الاستناد إليها في إجراء قراءات على مستويات متباينة للحدث التاريخي.

الحالة الإسرائيليّة تحديداً، تبدو في هذا الأفق المعقّد الملتبس من الكيانات السياسيّة المتخلفة، الحالة الأكثر تطرفاً بما لا يقاس. هذا المشروع الغربي الكولونيالي الإستيطاني الذي يمثّل استثناءً نوعياً لناحية استمراريته بعد عقود على تفكيك التجارب الكولونيالية بشكلها القديم خلال القرن العشرين، لا يزال يعاني ـ بعد 70 عاماً على قبوله رسمياً في نادي المجتمع الدّولي ـ من تباينات صارخة في طبيعة سيادته على الأراضي التي يقوم عليها، والهويّة القوميّة للدّولة التي يمثلها وتجمع خليطاً عجيباً من السكان الأصليين والمستوردين في أقل من مئة ألف كلم مربع، كما شرعيّة سلطاته الحاكمة وحقيقة تمثيلها لمواطنيها والبنية الطبقيّة فيه. ناهيك عن قوانينه وسياساته وحتى سلوكه في إطار المجتمع الدّولي. ولا يساعد وجود سرديتين تاريخيتين عن تاريخ الكيان تتسمان بالتناقض المطلق، في بناء تصوّرات موضوعيّة عن الواقع.

كل ذلك يجعل أي محاولة لفهم ماهيّة هذا الكيان مهمة غاية في الصعوبة، رغم كم هائل من المقالات والكتب والدراسات التي تتوافر عنه. ولذا، فإن كتاب إيلان بابيه «إسرائيل» (صدر أخيراً بالإنكليزيّة عن «دار روتليج» ضمن سلسلتها المتخصصة «الشرق الأوسط المعاصر») ربما يكون في إيجازه (125 صفحة) ووضوح أفكاره أفضل دليل مكثّف لعبور معاصر لهذه الظاهرة السياسيّة الثقافيّة الاقتصاديّة المتيرة للارتباك. بابيه الموصوف بأنه كبير المؤرخين الإسرائيليين الجدد الذين تحدوا الرواية الصهيونيّة الرسميّة المضلّلة عن تاريخ فلسطين المعاصر ونجحوا في كسر هيمنتها المتمددة في الغرب ووسعوا من الشقوق فيها، هو من القلائل في الساحة الأكاديميّة الذين يمكننا بالأفعل القول بأنّهم يعملون على بناء سرديّة جديّة الطابع فوق السرديات المؤدلجة وأقرب ما تكون إلى الموضوعيّة العلميّة ـ بحسب ما يسمح التاريخ به من الموضوعيّة والعلم ـ عن سياق الأحداث في هذه المنطقة من العالم منذ إطلاق مشروع الاستيطان الصهيوني في فلسطين عام 1882 لغاية اليوم.

ينطلق بابيه من نقطة السرديّات

من سلسلة «آباء» (2006) للفنان الفلسطيني تيسير البطنيجي

تحديداً، مُجدداً خياره الدائم في رفض السرديّة الرسميّة عن تاريخ إسرائيل. خيار فقد بابيه بسببه منصبه الأكاديمي في «جامعة حيفا» وتعرّض لإدانة والتهديدات بالقتل وتهم الخيانة الجاهزة وانتهى به المطاف في منفى اختياري في بريطانيا. ينفي تلك السردية، وخصوصاً الأسطورة المحوريّة التي تسوّقها المصادر الصهيونيّة عن لحظة «استقلال» الدّولة العبريّة في 1948 بوصفها لحظة انتصار مبهرة لـ«شعب» يهودي عاد إلى أرض أجداده، وخاض حرباً عادلة ضد أعداء ظلاميين كثر، معتبرة أنّ مسألة وحتى سلوكه في إطار المجتمع الدّولي. ولا يساعد وجود سرديتين تاريخيتين عن تاريخ الكيان تتسمان بالتناقض المطلق، في بناء تصوّرات موضوعيّة عن الواقع.

كل ذلك يجعل أي محاولة لفهم ماهيّة هذا الكيان مهمة غاية في الصعوبة، رغم كم هائل من المقالات والكتب والدراسات التي تتوافر عنه. ولذا، فإن كتاب إيلان بابيه «إسرائيل» (صدر أخيراً بالإنكليزيّة عن «دار روتليج» ضمن سلسلتها المتخصصة «الشرق الأوسط المعاصر») ربما يكون في إيجازه (125 صفحة) ووضوح أفكاره أفضل دليل مكثّف لعبور معاصر لهذه الظاهرة السياسيّة الثقافيّة الاقتصاديّة المتيرة للارتباك. بابيه الموصوف بأنه كبير المؤرخين الإسرائيليين الجدد الذين تحدوا الرواية الصهيونيّة الرسميّة المضلّلة عن تاريخ فلسطين المعاصر ونجحوا في كسر هيمنتها المتمددة في الغرب ووسعوا من الشقوق فيها، هو من القلائل في الساحة الأكاديميّة الذين يمكننا بالأفعل القول بأنّهم يعملون على بناء سرديّة جديّة الطابع فوق السرديات المؤدلجة وأقرب ما تكون إلى الموضوعيّة العلميّة ـ بحسب ما يسمح التاريخ به من الموضوعيّة والعلم ـ عن سياق الأحداث في هذه المنطقة من العالم منذ إطلاق مشروع الاستيطان الصهيوني في فلسطين عام 1882 لغاية اليوم.

ينطلق بابيه من نقطة السرديّات المظلة الرسميّة لسلطة الاحتلال البريطاني (1922 – 1948). يعيد بابيه تذكيرنا بما تذهب إليه بعض الدراسات الغربيّة المتأخرة، بدءاً من مقالة مكسيم رودنسون الشهيرة (1973) عن طبيعة الكيان السياسي الإسرائيلي بوصفه مشروعاً استيطانياً كولونيالياً أوروبيّاً أشبه ما يكون بالنماذج التي شهدها العالم في أميركا الشماليّة وأوستراليا ونيوزيلندا والجزائر، حيث تنتقل مجموعات عرقيّة بيضاء نحو أراضٍ لشعوب أخرى، فتستوطن الأرض وتلغي سكانها الأصليين (أو تحاول) وفق سياسات عنف عنصري ممنهج. وهو يؤكد أن هذا «البرادايم» وحده على خطورته السياسيّة الفائقة، يسمح باستيعاب التجربة التاريخيّة في فلسطين المعاصرة، وتفكيك الواقع القائم فيها، وربما أيضاً الوصول إلى استنتاجات بشأن سيناريوات ممكنة للمستقبل القريب والبعيد.

> أخضع المزراحيون بقسوة لعمليّة إعادة تأهيل لإزالة ما علق بهم من «أدران» الثقافة العربيّة

خطورة هذا «البرادايم» ليست متأتية فقط من كونها في تناقض وجودي الطابع مع السرديّة الصهيونيّة فحسب ـ وربما أيضاً إجراء من السرديّة الفلسطينيّة ـ وإنما لكونها تفرّغ من المعنى موضوعات كثيرة لطالما تظاهر الجميع بالإشتغال عليها كفكرة المناطق المحتلة، والمستوطنات، وعمليّة السلام، وحل الدولتين. كما تكشف عن كونها نفاقاً تشترك فيه أطراف كثيرة تتامر للحفاظ على مصالح مرتبطة بأوضاع قائمة، ليس أقلها اليمين الفلسطيني، ولا تنتهي بالمنظمات الدوليّة والأمم المتحدة. يعتبر بابيه أنه يستحيل فهم الواقع الإسرائيلي المتشعب ولذلك، هو يسرد المعالم الأساسيّة لرؤيته عن تاريخ مشروع الكيان الصهيوني في مراحله الثلاث: «من فلسطين إلى إسرائيل 1800 – 1948»، ثم «إسرائيل الصغرى 1948 – 1967»، فـ«إسرائيل الكبرى 1967 – 2000». وهو ربما لا يكشف جديداً، إلا أن انتقاءه للمحطات ودقته في إيراد وجهات نظر ووقائع من قلب تلك المحطات مثير للاهتمام. هو يقول مثلاً إن المجتمع اليهودي في الدّولة العثمانيّة كان يرى في المستوطنين اليهود الأوائل مجرد «طابور خامس» تحاول روسيا زرعه في قلب الشرق، وأن ثورة 1905 الروسيّة (الأولى) تسببت بهجرة واسعة نحو فلسطين ليهود متشبعين بتوجهات اشتراكيّة شكلوا في ما بعد نواة تجربة «الموشاف» التي كان لها دور محوري في تكوين العقل الإسرائيلي في جيله الأول. كما يجعل من إسرائيل مشروعاً مسيحياً غربياً قبل أن يكون مسالة يهوديّة بحكم التورط البريطاني المكثف في تمكين الصهيونيّة، بدءاً من مؤامرة «الثورة» العربيّة الكبرى إلى ليلة إنهاء الانتداب على فلسطين صيف 1948. يرسم بابيه في قراءته التاريخيّة هذه إطارات أساسيّة كمدخل لتفكيك وضع إسرائيل القائم، وفي مقدّمها الطبيعة المغرقة في عنصريتها للنّظام الإشكنازي النّزعة (المستند إلى يهود أوروبا) ضد المهاجرين اليهود المنحدرين من البلاد العربيّة (المزراحي) الذين أخضعوا بقسوة غير معهودة لإعادة تأهيل لإزالة ما علق بهم من «أدران» الثّقافة العربيّة (المتخلفة)، وهم بقوا ـ مع استثناءات فردية بالطبع ـ عبر المراحل المتعددة إلى اليوم خارج النّخبة الإسرائيليّة الحاكمة وأشبه بطبقة عاملة في خدمة النظام. وأيضاً هنالك هيمنة نواة صلبة من العسكريتاريا على الدّولة وخياراتها الاستراتيجيّة، التي نظمت في مراحل مختلفة سلسلة من الحروب والاعتداءات كانت الحاجة إليها داخليّاً أكثر من كونها نتاج تهديد خارجياً حقيقياً (بما فيها غزو لبنان 1982 الذي كان ـ وفق بابيه دائماً ـ محضراً له بالكامل مع قوى اليمين المسيحيّ اللبنانيّة قبل المحاولة المزعومة لاغتيال السفير الإسرائيلي في لندن). ربما باستثناء حرب 1973 التي يشير بابيه إلى أنه خلالها أبقت تلك النواة الخيار النووي على الطاولة بعد تقدم السوريين والمصريين على الجبهات، ولولا التدخل الأميركي الحاسم الذي قلب الموازين لمصلحة إسرائيل والطموحات المحليّة المحدودة لنظام السّادات من المشاركة في تلك الحرب، لانتهينا إلى أول كارثة نووية في الشرق الأوسط.

الجزء الأهم من الكتاب يبدأ بعد الممر التاريخي (الإجباري) ويقرأ تطور المجتمع الإسرائيلي من زوايا الاقتصاد السياسي (دولة اقتصاد مصطنع اعتمدت دائماً على الدعم الغربي، 3 مليارات دولار سنوياً من الولايات المتحدة وحدها، وانخراطها المعمّق في شبكة الرأسماليّة المعولمة وشبكات المتاجرة بالسلاح، وتقوم على أساس تفاوت متصاعد بين الطبقات)، والحياة الثقافية والاجتماعيّة (النخبة الإشكنازيّة تدير مزيجاً هجيناً من المرجعيات الثقافيّة العبريّة والغربيّة والروسيّة والعربيّة كثقافة إسرائيليّة موجهة بدقّة من الأعلى لهندسة البشر على تنوع مواقعهم في المجتمع، مع تحكم فولاذي بالصحافة والتعليم والأكاديميا والمسرح والسينما والوثائقيات والتلفزيون، وتسامح استثنائي مع الثقافة الدينية اليهودية المنزمتة بوصفها المصدر النظري للفكرة الصهيونيّة كلها)، والعلاقات الدّولية (تحتفظ بعلاقات استثنائيّة مع الولايات المتحدة والغرب وكذلك مع الدول الكبرى المؤثرة من روسيا والصين إلى الهند ودول الكتلة الشرقيّة السابقة في أوروبا، وإن كانت تلك العلاقات ليست بذات القوّة مع شعوب تلك الدّول التي لم تعد تتقبل سياسات العنف والقمع العنصري التي مارستها إسرائيل بداية من حرب لبنان 1982 حتى العدوان الأخير على غزّة، مروراً بمحطات الإنتفاضات الفلسطينية 1987 و2000 في ظل تغيرات بنيوية في طرائق تلقي المعلومات في السنوات الأخيرة بفضل التطورات التكنولوجيّة والإنتشار المتضي للإنترنت).

في المحصلة، يلحظ بابيه أنه بعد الربيع العربي المزعوم، فإن ما يقلق إسرائيل كثيراً هذه الأيّام ليس تهديدات عسكريّة مزعومة، سواء من إيران أو غيرها، بل الدّهور المتسارع للأسس القانونيّة والأخلاقيّة للكيان التي طالما ادعاها النظام الإسرائيلي عبر العقود. تدهور تشترك في التسبب به السياسات اليمينيّة المتطرفة ذات الصبغة الفاشستيّة الصريحة التي يغرق بها المجتمع الإسرائيلي منذ بعض الوقت، إلى جانب جهود المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات التي تقوم بها لجان أهليّة متطوعة، لكنها تحقق نجاحات استثنائيّة في عزل النظام الإسرائيلي عالمياً وفي مجالات عدّة. مع ذلك، هو لا يرى تغييراً سريعاً ممكناً في التفكير الاستراتيجي للقيادة الإسرائيليّة (الذي هو نتاج الأيديولوجية الصهيونية الكلاسيكيّة) بل عناداً وتزمتاً مستمرين منذ أكثر من مئة عام، ما سيجعلها تعيش دائماً في قلق مقيم على وجودها الذي يخضع بنيوياً لحسابات دوليّة معقدة لا أحد يملك يقينيّات مطلقة بشأنها.

ماذا بقي من «إسرائيل» في العالم اليوم؟ *

إيلان بابيه

أطلقت وزارة الخارجيّة الإسرائيليّة عام 2005 وبالتعاون مع وزارة الماليّة ومكتب رئيس الوزراء حملة تحت لافتة «براند إسرائيل – أو الماركة إسرائيل». لقد كان الدّافع وراء القائمين على هذه المؤسسات الهامة على مشروع الحملة ذلك الشعور المتزايد في إسرائيل بأن صورة الدّولة ومكانتها في المشهد الدّولي يتدهوران نحو مستويات غير مسبوقة.

التحضيرات لتلك الحملة بدأت قبل ثلاث سنوات، وكان التحدي الأساس أمامها ترفيع صورة إسرائيل في ذهن الرأي العام الأميركي بعد أن تسببت الانتفاضات الفلسطينية في 1987 و2000 بانهيار كبيرة لتلك الصورة، إذ لم يعد ممكناً في عصر التلفزيون والإنترنت قبول التفسيرات الإسرائيليّة لاستخدام تلك القوة المفرطة ضد الفلسطينيين، وهو أمر تكرر لاحقاً بعد 2006 عبر مجموعة من الاعتداءات المتلاحقة على قطاع غزّة.

حملة «براند إسرائيل» التي عملت عليها الوزارات الثلاث بمساندة فريق من أهم خبراء التسويق الأميركيين استهدفت تحديداً إعادة رسم صورة إسرائيل لتظهر في المخيال الجمعي العالمي كدولة عصريّة راقية بدلاً من مشهد العسكرة والتزمّت الديني. وقد أنفقت مبالغ هائلة على التسويق لإسرائيل في الخارج في مواجهة ما عدّته النخبة السياسيّة والأكاديميّة الإسرائيليّة بمثابة حملة عالميّة لنزع الشرعيّة القانونيّة عن الدّولة اليهوديّة. لقد كان ذلك مجهوداً هائل الأبعاد، حتى إن الفريق القائم عليه كان يدعى «مجموعة الماركة إسرائيل» واختصاراً بـ BIG التي تعني «كبير» بالعربية.

كانت وزارة الخارجيّة بخدمتها الدبلوماسيّة أول أجهزة النظام التي انخرطت في هذه المهمة، لكنها كانت بحاجة إلى جهود خبراء وأكاديميين لا سيّما في مجالات العلوم السياسيّة، والعلاقات الدّوليّة والتاريخ. وبالإفادة من خبرتها في مجال دراسة العداء للساميّة، بدأت ببناء قراءة لجذور هذا التحدي الجديد لإسرائيل المسمى «المقاطعة، وسحب الاستثمارات، وفرض العقوبات». المحاولات الأولى في بناء تلك القراءة كانت وصفيّة أكثر منها تحليليّة لكنّها انتهت إلى الزّعم بتحديد لحظة ولادة هذا الشكل المستجد من «العداء للساميّة» في مؤتمر الأمم المتحدة لمناهضة العنصريّة الذي عقد في ديربان بجنوب أفريقيا أواخر صيف 2001. وبحسب هذه الدراسة الأكاديميّة الأوليّة، فإن ذلك المؤتمر الذي كانت فلسطين موضع اهتمامه، أطلق ما يشبه حملة لنزع الشرعيّة عن إسرائيل. ولم يفت فريق الحملة أن مؤتمر ديربان وصل إلى خواتيمه قبل ثلاثة أيّام فقط من حادثة الحادي عشر من سبتمبر، وهكذا تم افتعال ربط بين التاريخين بوصفهما وجهين لذات الاستهداف للعالم الحرّ. ربط لم يتوانَ بنيامين نتنياهو عن توظيفه في أحاديثه العلنيّة مرّات عدة، مشيراً إلى تحالف غير مقدس بين الإسلام الرّاديكالي واليسار المتطرّف في الغرب ضد العالم الحرّ والدّيمقراطي الذي تمثّل إسرائيل رمزيته في أعلى أشكالها، على حد تعبيره. إلى جانب مؤتمر الأمم المتحدة في ديربان وحادثة الـ 11 من سبتمبر، فقد أدرجت محكمة العدل الدّوليّة في هيغ كجزء من هذا التحالف لأنها كانت حكمت ضد جدار الفصل العنصري في 2004 فتاهلت بجدارة لتنضم إلى الموجة المُستجدة من العداء للساميّة.

مهمة الفريق «الكبير» كانت رسم صورة إسرائيل كجنّة على الأرض وحلماً تحقق، لترتبط بالأذهان بوصفها بلاداً جميلة، عابقة بالمرح ومتفوقة تكنولوجيّاً. كانت تلك النسخة الجديدة من إسرائيل. ولتسويقها، تم تأسيس عدة واجهات، إحداها كان «مشروع ديفيد» في أميركا الشماليّة الذي كان شديد الفاعليّة في الترويج لمقاصد الحملة بين طلبة الكليّات الجامعيّة. بُذلت جهود مكثّفة لتغيير تموضع إسرائيل من مجموعة الدول المنبوذة في العالم مثل كوريا الشماليّة وإيران إلى واحدة من أكثر 25 دولة في العالم يفتخر مواطنوها بالانتماء إليها، مع ربط سعادتهم بتقدّم البلاد في مجالات التكنولوجيّات الحديثة. وهذا كان يعني بالفعل تجنب حملات العلاقات العامة الإسرائيلية ذكر أي شيء عن صراع مستمر أو قضيّة فلسطينية.

بعد عامين من الجهود السريّة لفرق عدة متوازية، تم اتخاذ القرار بتجميع كل الجهود تحت مظلّة إدارة واحدة. تم التوصل لهذه الصيغة العمليّة في مؤتمر وزارة الخارجيّة الأوّل حول «براند إسرائيل» الذي عقد في تل أبيب عام 2007 وكان بمثابة الإطلاق العلني الرسمي للحملة. خصصت الخارجيّة وقتها أربعة ملايين دولار للحملة، مقارنة بثلاثة ملايين حجم الميزانية الكليّة لأنشطة البروغاندا في الوزارة - وخصص لوزارة السياحة 11 مليوناً من الدّولارات كميزانيّة خاصة لدعم برامجها الترويجيّة في أميركا الشماليّة. ومع أن أموالاً رُصدت للإنفاق على الدّعاية في أوروبا كذلك، إلا أنه من الملحوظ أن المسايسين في إسرائيل قرروا تكثيف جهودهم على الولايات المتحدة بالذات، إذ شعروا وقتها بأن حملة نزع الشرعيّة عن إسرائيل فيها كانت تحصد النجاحات وباتت أقرب إلى النّضوج، وأن الولايات المتحدة يجب أن تبقى للإسرائيليين على المدى الطويل كما حصن منيع.

استعان الإسرائيليون من أجل «براند إسرائيل» بأفضل دور الخبرة في الدّعاية والإعلان والعلاقات العامة عبر العالم ومنها «ساتشي أند ساتشي» (تطوّعت وقدّمت خدماتها مجاناً للدّولة العبريّة). كما كان في عداد الفريق أعضاء من BAV التي هي أكبر قاعدة بيانات حول الماركات في العالم والمتخصصة في قياس الاستجابات العاطفيّة للمجتمعات المستهدفة في الحملات الإعلانيّة للماركات المختلفة.

بدا فريق «براند إسرائيل» محاولاته لتغيير الصورة السلبيّة عن إسرائيل من خلال تحديد معالم معينة في حياة الإسرائيليين واستدعاء الأميركيين إليها، وهم شرعوا لأجل ذلك في توفير رحلات مجانيّة لصحافيين ونقاد ليكتبوا عن العمارة وفنون الطعام والنبيذ، ومن ثم تصوير البلاد في تقاريرهم كأنها جنّة الذّواقة. وقد تبع ذلك أيضاً برنامج مكثّف للرحلات المجانيّة والهدايا لنجوم السينما والرياضة الأميركيين.

على الجانب الآخر، توجهت وزارة الخارجيّة الإسرائيليّة بالطلب إلى كل الفنانين وورش التمثيل وفرق الرّقص الإسرائيليّة بتضمين بعضاً من محتوى «براند إسرائيل» في عروضهم، بينما قطعت وزارة السياحة خطوات أوسع لإظهار إسرائيل كوجهة العالم الأولى سياحيّاً وقبلة ساحرة للاستجمام والمرح. وقد نشرت الوزارة في 2009 خارطة سياحيّة مصوّرة محدثة لـ «إسرائيل كبرى بلا حدود»، خاصة في ما يتعلق بمرتفعات الجولان السوريّة أو الأراضي الفلسطينية المحتلّة. خارطة عرضت في مواقع عامة في عدة مدن كبرى حول العالم ومنها قطارات الأنفاق في لندن حيث تسببت بوسترات الحملة هناك في موجة احتجاجات واسعة في العاصمة البريطانيّة قبل أن تقرر إدارة النقل في المدينة إزالتها.

في عام 2010، أوردت اليوميّة الاقتصادية الإسرائيليّة «غلوبس» أن وزارة الخارجيّة خصصت ما يزيد عن 26 مليون دولار لأغراض الترويج

> فشلت في تسويق نفسها كدولة يهوديّة ديمقراطيّة محبة للسلام

لإسرائيل في السنوات القليلة المقبلة. وُجّه أغلب تلك المخصصات إلى معركة مواجهة حملات التشهير ونزع الشرعيّة القانونيّة عن إسرائيل التي بدا وجودها يتفاقم على شبكات التواصل الاجتماعيّ والفضاء السيبيري عموماً. وبدو أن الخارجيّة الإسرائيليّة كانت متفائلة بفرص نجاح أنشطتها تلك بالاعتماد على ما توصلت إليه وحدة الأبحاث في الوزارة بأنّ مرتادي الإنترنت يتفاعلون بشكل جيّد مع المحتوى الذي يثير اهتمامهم، بغض النظر عن ماهيّة المصدر الذي نشر ذلك المحتوى أو ارتباطاته السياسيّة.

رغم كل تلك الجُهود، فإن التقارير عن نجاحات فائقة لأنشطة الحملة لم تقنع حتى كاتبي تلك التقارير. وهكذا استدعي «معهد ريوت» (The Reut Institute) كلاعب جديد لينضم إلى الفريق مكلّفاً بالنّظر في أسباب فشل الحملة في تحقيق نجاحات صريحة، وما الذي يمكن عمله لتدارك الوضع. المعهد المذكور واحد من مراكز الأبحاث والدراسات التي تعمل معها الوكالة اليهوديّة، وكان أصدر تحذيراً عام 2010 من أن منسوب التهديد الذي تتعرض له الدّولة الإسرائيليّة في مجالات الدبلوماسيّة والعلاقات الدّوليّة هو في ارتفاع دائم. وقد وصف المعهد تقرير لجنة الأمم المتحدة لتقصّي الحقائق بشأن غزّة عام 2009 وعمل عليه القاضي الجنوب إفريقي ريتشارد غولدستون بأنه يجسّد حملة نزع الشرعيّة عن إسرائيل بكل ما فيها: جذورها ومنطقها والنتائج التي قد تترتب عليها.

كان التقرير الأخير الذي بات يعرف بـ «تقرير غولدستون»، قد اتهم إسرائيل و«حماس» بارتكاب جرائم حرب أثناء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة الذي بدأ مع نهاية عام 2008. غولدستون، اليهودي، تراجع عن بعض محتويات التقرير بعد ضغوط شديدة من الجانب الإسرائيلي. ومع ذلك، بقي عند «معهد ريوت» سبب وراء الإدانات الدّوليّة التي وجهت إلى إسرائيل عن طريقة معاملتها للفلسطينيين، وأن تلك الإدانات هي نتاج الأيديولوجيّة الراديكاليّة الإسلاميّة التي تصدّرها إيران، وينفذها «حزب الله» وحركة «حماس». «معهد ريوت» توصل إلى أن إسرائيل فشلت في تسويق نفسها كدولة يهوديّة ديمقراطيّة محبة للسلام، وهو تحديداً ما سمح لنجاح مُنهر لحملة التشهير بإسرائيل. وقد حذّر المعهد من أن استمرار تلك الحملة سينتهي إلى وصم إسرائيل كدولة منبوذة، وأنه يستحيل حل القضيّة الفلسطينية، ما سيدفع بفكرة الدّولة الواحدة قدماً. وعندما تحذّر المنظمات الصهيونيّة من مخاطر حل الدّولة الواحدة، فإنها تقصد ما ذهب إليه إيهود أولمرت عندما حذّر عام 2007 من أن إسرائيل ستنتهي بالضرورة في ظل هكذا سيناريو كدولة فصل عنصري.

بكلمات أخرى، وعلى الأقل وفق «معهد ريوت»/ الوكالة اليهوديّة، فإن كل أموال العالم وخبرات الدّعاية فيه، لا يمكنها مساعدة إسرائيل على تقديم نفسها كدولة مسالمة ومرحة. وبدلاً من أن يقترح المعهد مثلاً تبني سياسات أقل عنفاً ضد الفلسطينيين، فإن توصياته للحكومة الإسرائيليّة كانت حول البحث في طرق للضغط على النخب الغربيّة لنشر صورة مزيّفة عن إسرائيل وإسهام الجاليات اليهوديّة في تكريس تلك الصورة في مجتمعاتها.

لقد أسهم الربيع العربي وما ترتب عليه من عواقب مؤسفة، لا سيّما الحرب الأهليّة في سوريا، في تخفيف الضغط قليلاً عن إسرائيل، وتحويل أنظار الرأي العام العالمي نحو المآسي الإنسانيّة في أماكن أخرى من الشرق الأوسط. على أن الساسة والمخططين الاستراتيجيين الإسرائيليين رأوا في التورط الإيراني في سوريا (سواء من خلال المساعدة العسكريّة المباشرة لإنقاذ نظام بشار الأسد في سوريا أو من خلال «حزب الله» اللبناني) نوعاً من خطر جديد، أو على الأقل مدعاة لإطلاق مناخ من قلق وجودي داخل وخارج إسرائيل (و ستعلمنا الأيّام القادمة كيف سيستخدم هذا القلق المستثمر في صرف الأنظار عن المصاعب الاجتماعيّة والاقتصاديّة الداخليّة كما الضغوط الخارجيّة).

مع ذلك كلّه، وحتى في أقسى لحظات الفوضى والعنف المفجع في تاريخ الشرق الأوسط، فإن الرأي العام العالمي لم يكن ليحلّ إسرائيل من قمعها للفلسطينيين. وعلى الرّغم من أن نخب السياسة والاقتصاد الغربيّة ما زالت تعتبر إسرائيل كجزء من عالم الغرب الديمقراطي، فإن المجتمعات تراها على نحو متزايد دولة كولونياليّة نجت من السؤال في القرن العشرين، لكن ذلك حصل بالنظر إلى منافعها للولايات المتحدة وانخراطها الفعّال في منظومة الرأسماليّة العالميّة. ليس هناك لإسرائيل اليوم أيّ أبعاد أخلاقيّة للدعم العالمي الذي تتلقاه. وعندما يتقلّص هذا الدّعم لأسباب عمليّة، فإن السيناريوهات - التي يطرحها سواء الصهاينة الجدد أو أدعياء ما بعد الصهيونية - من تحول الحياة في تلك الدولة المنبوذة إلى نظام فصل عنصري تبدو على وشك التحقق.

في هذا الوقت، فإن معظم الغربيين يمكنهم زيارة إسرائيل والاطلاع على حقيقة الأمور بأنفسهم، رغم أنه يمنع من الدخول من يُشتبه بتورطه في أي نشاط تضامني مع الفلسطينيين. الطلبة الجامعيون وقراء هذا الكتاب ينبغي أن يذهبوا بأنفسهم ويطلعوا على الأمور، وحبّذا إن أمكنهم أن يذهبوا في جولة في الضفة الغربيّة المحتلة وقطاع غزّة المحاصر ليخرجوا باستنتاجات واقعيّة عن أي مستقبل تمتلكه هذه الدولة الغريبة والمعقّدة.

«من أين نأتي» للفنانة الفلسطينية اصلي جاسر (2001-2003 - تفصيل)

* نص مترجم لخاتمة كتاب إيلان بابيه «إسرائيل» الصادر بالإنكليزية عن «دار روتليدج» في المملكة المتحدة ــ 2018 ضمن سلسلتها عن الشرق الأوسط المعاصر.

قصائد

ست قصائد

عبد العظيم فنجان *

اتخذ شكلك، واشغله..

أشعرُ أن الهواء بيننا ينفتحُ على هواء آخر، له مذاق النبع، عندما يفور العطشُ، في تنور جسدك، ويتوق إلى العناق، فأضمك بحنان، بثقة من يعرف أنه امتلك، أخيراً، سرّ البقاء على قيد الطيران، رغم أن أجنحته قد انتُزعتْ منه، عنوة، منذ لحظة الولادة، فلا تحسبيني يائساً عندما العن هذا العالم، الذي يأخذك، مثل عصفور، إلى قفص التقاليد، لأنني أكثر قوة من شجرة، في العراء، تلعب بخواطر العواصف.
حبي، ليس حباً، بل هو ما لا اسم له، وهو ليس غراماً أو عشقاً، بالمعنى الدقيق، فقد يكون ولهاً، جنوناً، أو قد يكون حناناً ممطراً، ساخناً ودافئاً، لم يمر به بشرٌ قط، لأن غايته أن يحتلك، يعصفُ بجسدك، يمزّقني في داخلك، فاتخذ شكلك، واشغله..

ابتسامتك

كنتُ أنتقي القميصَ، قميصك، من بين الثياب المنشورة لتجفَّ، ثم أطرق الباب، زاعماً أن العاصفة قد حملته إلى سطح البيت، وكنتِ تعرفين أن ذلك محض هراء، إذ لا عاصفة تجرؤ على أن تعكّر جري الخيول المرسومة عليه، خاصة وأن الجو صحو، فتضحكين، تغرقين بالضحك، وتنشرين، على حبل حياتي، ابتسامة ندية مسبوكة بحرير صوتك.
آه، لو تعرفين أن تلك الابتسامة لبثت خالدة في حياتي، مثل اسمي، بل هي الزاد الأعظم من البراءة، الذي حملته معي، وأنا أقطع طريق الشعر المليء بالمكائد، وهي أيضاً، ضحكتك، تميمتي وحصني، كلما غزاني اليأس، أو كلما جرجرني الحنينُ، من باقتي، إلى الصبا، إذ لم تتمكن منها فدْحان الزمن، لم تكنسها الريح العاتية، التي مرّتْ وكنستْ الأمان عن بلد بأكمله، طوال السنين، ولم تجفّ تحت أقسى الشموس، لحد الآن.

الرسالة

أحملُ معي، أين ما حللتُ، رسالتك التي لم تكتبيها، متحصناً خلف هذا الوهم ضد الصدأ، الذي سرعان ما يكتسح عواطف المخذول..
أحياناً أعثرُ على ابتسامة مهملة منك، لم يمسّني شعاعها، بين أوراق الذكريات، التي لا جدوى من تقليبها، كما لو كنتُ شجرة تتفقد الزقزقات المنسية بين أعواد سرير عصفورها المختار، الذي غادرها، فجأة، ولم يعد أبداً.

مركز الثقل

هذه الأشياء التي أحتفظ بها : أنقلها معي أين ما حللتُ، أو أضعها تحت وسادتي حين أنام، والتي لا يفكرُ أحد في كونها تمثل مركزَ الثقل في حياتي: خصلة شعر، قلم رصاص، صورة امرأة مبللة بالمطر، ضاعت تفاصيل جسدها، زر من أزرار قميص، ملابس داخلية، وردة ذابلة، لكنها مبللة بقبلات لا تزال دافئة، مع ندبة أو خدش على جهة القلب..
هذه الأشياء الصغيرة، العابرة، والتي لا قيمة لها في نظر الآخرين، كانت لكِ، لكِ وحدكِ، وهنا تكمن قيمتها الكبرى، كما أنها أدلة دامغة على أننا كنا عاشقين من طرازٍ نادر، فما حدث من انصهار وذوبان في الآخر، لم يكن قد جرى في الواقع، بل في منام، لا يريد أن يصدقه أحد..

عندما تلعثم البرق على شفتيك

ارتبكتُ حين رأيتك، في تلك اللحظة، التي خسرتُ فيها الألم والحب معاً، مثل وترٍ مقطوع، فجأة، مسّه الطربُ.
لم أنكسر، لكنني تهدمتُ، ومع ذلك أكملتُ مهمتي، وسألتكِ إن كان ممكناً ذرف دمعة من حنانك، لأجل هذا الحطام. لم أنطق إلا بهذا، لأنكِ تعثّرت، وفتح الزحام ذراعيه الواسعتين، فابتلعك: غرقت فيه، ولحقتك، كما لو جاءني الوحي بالرسالة: إن أصدق تعبير عن الحب هو ذلك المخبوء في الكلام المتعثر، الذي رأيته جلياً، عندما أشرقَ شحوبُ وجهكِ، وتلعثم البرقُ على شفتيكِ.

انفاسك

لا أتذكر مرة، مرة واحدة، نظرتُ إليكِ بغير نظرة المحب، فيما أنتِ غارقة في اللامبالاة، وكنت أفعل ذلك، أفعل ما يليق بي من انبهار، لئلا يتحطم سحر الملاك، الذي نسجتُ بدلته من خيوط فكرتي عنكِ..
لم يرتبط حبي بكِ، بتقلبات المناخ العاطفي، أو بالوان ثيابكِ، لقد أحببتُ فيكِ شيئاً غامضاً، لا أعرف ما هو، ولم يزعجني أبداً أنك لا تعرفين شيئاً عن عبادتي للهواء، الذي يفصل بيننا، ما دام يحمل فراشات، لم يرها أحد قط، تنطلق نحوي، مخضّبة بأنفاسكِ.

* شاعر عراقي

غوستاف مورو ـ «سالومي ترقص» (1886)

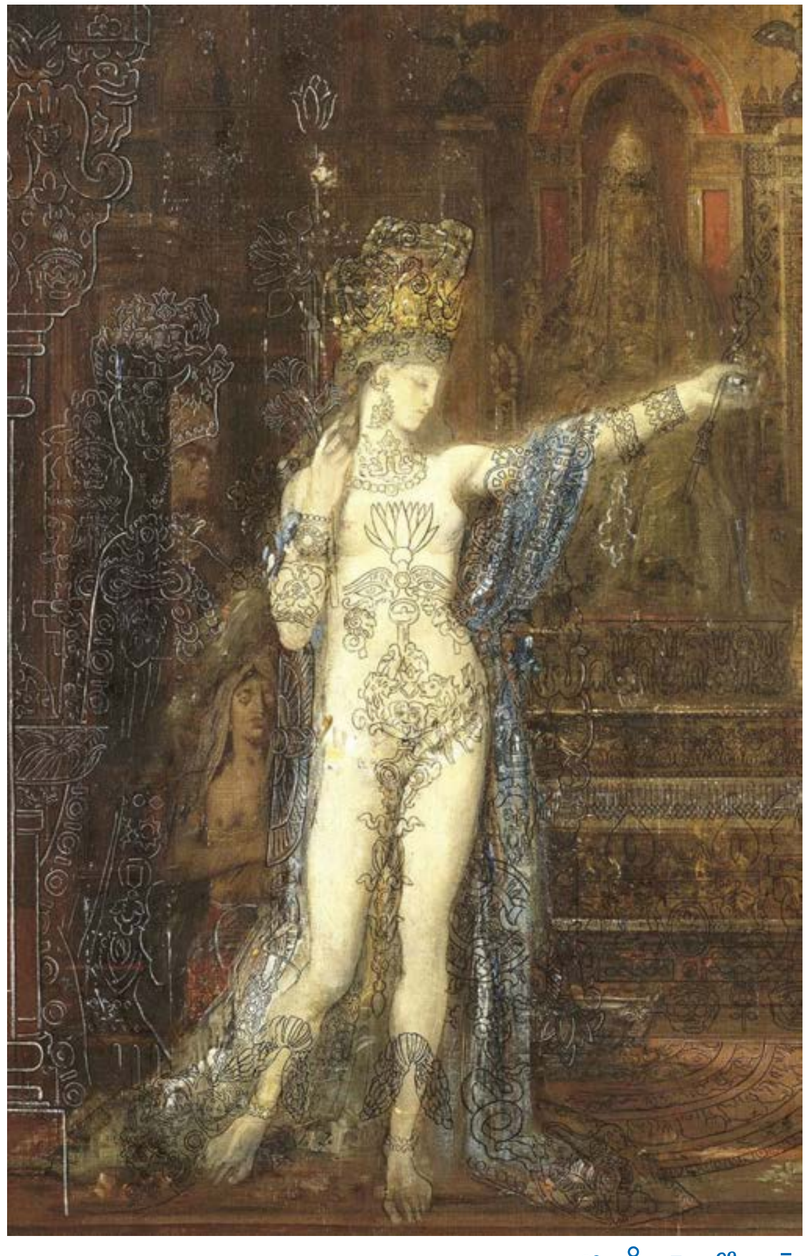

شَرَكٌ فَخْم

محمد يحيى عبد المغني *

أعترف بامتلاكك شيئاً ما
قادر على استقطاب
ذكر بطريق في القطب الجنوبي
وأن جمالك لا تشوبه غلطة
وأن نتوءات الأنوثة معالم على
طريق جسدك العشبي
هداية وضلال

أقر بذلك
ولا أجر قدمك
لا أريد معرفة مقاسها حتى..
لا استدرجك
ليس لاكتفاء ذاتي
وتخمة عاطفية
ولا عن قلة صنعة
أستطيع مضغ علكة
بنكهة النعناع والمشي
في الوقت ذاته

وبمقدوري التعامل مع
حسناء معاصرة من ذوات البريستيج
والاضطجاع على نقاء
ريفية ساذجة
بحيل قديمة
أو تقنية عالية
كل ما في الأمر أنك
شرك فخم

يستحق طريدة ثمينة
أنت نظام جبار
وسلطة مطلقة
وأنا معتقل
نزيل زنزانة رطبة
كقبلتك
الآتية
تواً..

* اليمن

نصوص

القطّ الأسود

سلوى ياسين *

يحدّقُ القطُ في حذائي ويتبعُ انعكاس أحجاره المزيفة التي تتلألأ كلما لامستها أشعة الشمس. وأنا تذكرت حلمَ الليلة الماضية. قطٌ ضخمة سوداء تركضُ خلفي. حكيت ذلك لجدتي فقالت إن أحلام الخريف لا قيمة لها ولا يجب أن تُفسر. الفلاحون يحرثون الأرض ويقلبون معها رؤوسنا. لم أسألها عن علاقة الفوضى في رأسي بما يحدث في حقول الآخرين.
ثمّ انظر إلى شاربي القط وأحاول أن أتذكر المكان الذي خبأت بداخله المقص. يجب أن أقص شاربيه ولا أريده أن يشعر بأي إهانة. المسألة ليست شخصية بتاتا لأنني اخترت أن أعذّبه هو دون باقي القطط. يجب أن يفهمَ الدرس. أنا يد القدر في حياته مثلما هناك قطّ القدر الأسود في حياتي. مرات كثيرة صنعت أقدار كائنات صغيرة، هدمتُ أعشاش النمل وأغرقتها. كنت أصنعُ لهم تسونامي صغيراً بالماء وبالنفخ في الحفر وأنطلق كالجنديّ الذي يلقي بقنبلة يدوية دون أن يلتفت. على القدر أن يظل أعمى.
أقص الآنَ شاربي القط الذي لن يفهم ما يحدث له إلا بعد فوات الأوان. أقص شاربيه وأردد: لم أعد صالحة للحياة ولا يمكنني أن أستمر في العيش بعد كل الذي رأيته دون أن أكون قدر الآخرين الأسود.

تمثالٌ للجميلة على الشرفة

وأنت تقرأ باهتمام مخيف هذه المقدمة تبدو لي شخصاً يحب الحكايات الكاملة. ليست هناك أي حكاية. كل ما هناك أن المرأة الجميلة على الشرفة الزجاجية حين بلغت الأربعين ولم تنجب أطفالاً، عادت إلى البيت التي ولدت فيه. حلت بحيّنا مرة أخرى كأنها نزلت من السماء. وقررت أن تسند ثقل رأسها بكفيها وتحدق من الشرفة في العالم الذي كان داخل رأسها وهي تحاول أن تقيس الفرق بين ما كانت تحلم به قبل أن تبلغ الأربعين وبين ما تبقى. وجهها المسند على الكف ظل عالقاً في عيني. صوتها الخافت وهي ترمي لي ورقة نقدية من الشرفة الزجاجية كل يوم حين أمر من أمام بيتها، يذكرني الآن بمعنى الوقوف في مفترق الطرق. شعرها الطويل الأشقر. أحمر شفتيها المخملي حين كانت تأمرني بجملتها التي لم تتغير لسنوات. تأمرني فأمتثل. للجمال رهبة كما تعرف حتى بالنسبة لفتاة صغيرة.
– أحضري لي علبة سجائر و علكة القرفة. تقول.
– صوتها ما زال يتدلى في أذني كالعنكبوت التي تعبر خيط شبكتها صعوداً ونزولاً. صوتها أتذكر به الآن صورة خالدة للسام الذي يصيب امرأة تستعد لأن تبقى وحيدة بعد الأربعين.

* المغرب

«قط رابضا» (1861) لادوار مانيه

أَكْثَر مِن مُلْتَبِسٍ وَأَقَل من مجنون

إيهاب الشعيدل *

كان فائق رجلاً شديد الالتباس، لا يمكن التعامل معه إلا وفقاً لتصوراته، فقد نشأ غريباً لا يعرف الكثير عن طفولته، وانتشرت حوله الكثير من الأقاويل، في حياة لا يملك فيها سوى مسجل من نوع قيثارة أسود وأشرطة كثيرة لعبادي وسلمان المنكوب، ويدعي أنه اكتشف الشوائب في صوت ياس خضر.
يومياً يعبر إلى السوق حاملاً تلك الأشرطة مصحوباً بالشتائم والبصاق والحجارة، فالمجانين لا ينعمون بأي مستوى من الهدوء في المناطق الشعبية، ويشكل مرورهم النادر، مع مرور الكلاب والقطط، مادة غنية للركض والصراخ.
أغرب ما يثيره انتباه الآخرين له، أنه كثير التلفت، حتى تشعر أن ثمة شخص، غير معيَّن، يملك زاراً ليقوم بتلك الحركات السريعة، وقد تشعر أن رقبته مطاطة لدرجة يمكنه وضعها في الجيب الخلفي. لذا يبدو مستحيلاً التنبؤ بحركته القادمة، وإن صادفته مرة وهو في حالته الطبيعية سوف يطلب سيجارة، قد يحدثك عن أسعار العلكة والأحذية واختفاء الشوارب من على أفواه الجميع واستبدالها بالذقن، لذا هو راسخ في الحياد، خالي تماماً الشعر، سمع عنه الكثير؛ لكن أغرب ما يمكن سماعه من حكاياته هو اكتشافه لمادة تعالج الحساسية والحك، فهو يقول إن في الأظافر أدوية فعالة لتجنب أي تحسس، والغريب في الأمر أنه يسلخ جلده في اليوم مرتين جراءَ تجريب هذا الدواء العجيب. وقد يفاجئك في حركة خفية يقتل بها دبابة ما ويقول: ها قد اصطدت طائر الخوف الأسود تواً.
ما اكثر الطيور التي تَطِنُّ في رأسه! ذات يوم، صحا الجميع على صراخ أمه العجوز التي ليس لها غيره، لقد مات أثناء تجريبه الطيران: وَجَدَتْ رأسه مهشماً عند عتبة الدار. وفي العزاء تناقلت النسوة ما كان خفياً من عجائب فائق، ذلك المجنون الدقيق في قياس حرارة الشمس إفهو يعرف مواقيت نادرة تكون الشمس فيها لاهية بالوقوف على أشياء أخرى غير أدمغة البشر].
تركت أمه الباب مفتوحاً أمام المعزين ليوم أو أقل. لكن صوتاً غريباً كان يصاحب الداخلين إلى تلك الباحة التي كان فائق دوماً ينتظر فيها أشباحاً لا يمكن تعدادها.
في اليوم التالي، نسي الجميع ذلك الملتبس الذي ما أن جرب الطيران حتى خرج من الحياة، عبر تلك الأحلام الصغيرة التي تُخَلِّص من هذا العبء الذي يدعى حياة. وهذا ما جربه صاحب الشخصية المغلقة على نفسها، مثل حشرة تكورت بفعل الخوف. هكذا خرق المألوف في صور فانتازية، بينما بقي الصغار ينتظرون ذلك الأسمر النحيل دون جدوى.

* العراق

«فاقد الامل» لغوستاف كوربيه (1841)

أوراق

كأنهم حُمُرٌ مستنفرة، فرّتْ من قَسْوَرة

زكريا محمد *

تعرفون الجدال الذي جرى طوال 1400 عام - وما زال يجري حتى الآن- حول آيتي سورة المدثر: «كأنهم حمر مستنفرة، فرت من قسورة» (المدثر: 50-51). وقد جرى الجدال بشكل خاص حول كلمة «قسورة» الغامضة التي وضعت اقتراحات عدة لفهمها. وقد اختصر لنا «لسان العرب» هذه المقترحات كما يلي:

1- القَسْوَرة: الصيادون بالجمع، أو الصياد.
2- القسورة: الرماة
3- القَسْوَرَة: الأسد
4- والقَسْوَرة: الشجاع
5- القَسْوَرة: أول الليل، أو آخر الليل
6- القَسْوَرة: ضرب من الشجر
7- القسورة: ركْز الناس، أي أصواتهم الخفية الهامسة.
7- القسورة: القاسي الشديد. والقَسْوَرَةُ من الغِلْمَان: القَوِيُّ الشابُّ
8- ثم لدينا باحث ألماني، من أصل عربي ما في ما يبدو، هو كريستوف لوكسنبيرغ دخل، هو الآخر، على خط القسورة في كتابه الذي أثار ضجة «القراءة السريانية- الآرامية للقرآن». فقد افترض أن القسورة هي كلمة «قاصورا» السريانية، وهي تعني «حمار هرم لا يُحمل عليه»، أي لا ينفع لحمل الأثقال، لكنها انحرفت وأصبحت «قاسورا» في السريانية الشرقية، ثم انتهت «قسورة» بالعربية (ص-ص 61-63 من الكتاب، النسخة الإنكليزية الصادرة عام 2007 عن: Verlag Hans Schiler، Berlin). بذا، فالحمرة المستنفرة فرت من حمار عجوز هالك. منظر هذا الحمار الهالك أخافها، من الموت ربما، وأخرجها عن طورها! وهكذا يكون هذا الباحث قد قدم تفسيراً هو أقل ملاءمة من جميع التفاسير العربية القديمة، أي إنه زاد الطين بلة.

هذه، بالمجمل، نتائج الجدال حول كلمة «قسورة» التي بدت غامضة جداً للقدماء، وظلت غامضة أيضاً عند المحدثين. وكما نرى، فما هو معروف فقط في الآيتين أن الحمر استنفرت وهربت من شيء ما. أما ما هو هذا الشيء، فغير مؤكد بالمرة. بناء عليه، فما الذي يمكن للمرء أن يضيفه إلى هذا الجدل المتراكم الذي لا ينتهي؟ هل سيضيف رقماً جديداً للأرقام أعلاه كي تكبر كومة المقترحات من دون أن تؤدي للعثور على حل؟

لكن محاولتي ستتجنب «القسورة»، محاولة الدخول إلى الآية من مدخل آخر، لم يحاوله أحد من قبل. أي أنني سأنيخ ناقتي تحت شجرة أخرى. والأمر كله يتعلق بمناخ الناقة. إن أنخت راحلتك في المكان الخطأ، فسوف تصل إلى النتيجة الخطأ. لذا سيكون مناخي عند كلمة «فرت» لا كلمة «قسورة». إذ أن لغز قسورة سيحل من تلقاء ذاته إذا ما تمكنت من حل أمر «فرت» بشكل مناسب. فاللغز يقع في الكلمة (البريئة؟) والواضحة «فرت» لا في الكلمة (الغامضة؟) قسورة. هذا يعني أنني أقترح أن الجدال لم يطل اللغز الحقيقي، وأن الأيدي كانت تغرق الباب الخطأ. فالتشوش الحاصل منذ عهد صدر الإسلام بشأن الآيتين راجع إلى القراءة المغلوطة، المصحَّفة، لكلمة «فَـرَّتْ». أما غموض قسورة فعرض ثانوي لمشكلة «فرت».

الهرب أم اختبار السنّ؟

أما فرضي فيقول إن كلمة «فرّت»، يجب أن تقرأ بضم الفاء «فُـرّت» لا بفتحها «فَـرّت». وهذا يعني أن هذه الكلمة

> تعرّضت الآيتان لسوء فهم عميق بعدما تعددت اقتراحات معنى «قسورة»

لا تعني الهروب والفرار، بل تعني اختبار السن والكشف عنه. ونحن نذكر جميعاً قول الحجاج في خطبته الشهيرة المخيفة: «ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء، وفُتشتُ عن تجربة». والفرّ و الفرار و الفرارة هنا: «أن تفتح فم الدابة لتعلم سنها. يقال: فرّها فَرّاً وفراراً، مثلث الفاء، إذا فتح فاها لذلك. ومنه قول الحجاج: ولقد فُررت عن ذكاء، وفُتشت عن تجربة، أي فُرِرت فوُجدتُ تام السن. فإن الذكاء يدل على السن» (اليوسي، زهر الأكم). أما «اللسان»، فيخبرنا أن الذكاء هو السن ذاته: «والذَّكاءُ: السِّنُّ. وقال الحَجَّاج: فُررتُ عن ذكاء. وبَلَغت الدَّابَّةُ الذَّكاءَ، أَي السِّنّ» (لسان العرب). يضيف الصحاح: «وفَرَرْتُ الفرس أَفُرُّهُ، بالضم، فَرّاً: إذا نظرت إلى أسنانه، قال الحجَّاج: فُررْتُ عن ذكاء. وفَرَرْتُ عن الأمر: بحثتُ عنه» (الجوهري، الصحاح). بناء عليه، فالحجاج يشبّه هنا نفسه بفرس جرى فرّه، أي فتح فمه للتعرف على سنه، فتبين أنه بلغ سن النضوج التام.

انطلاقاً من هذا، فإن الآيتين القرآنيتين تقولان ما يلي: كأنهم حمير مستنفِرة، أو مستنفَرة، لأنها فُـرّت، أي فتحت أفواهها قسراً لمعرفة سنها، من قبل قسورة، أي من قبل رجل شديد قاسي اليد. استنفارها نابع مع عملية الفرار من قبل هذا الرجل القاسي. وبهذا التفسير يصبح واضحاً معنى الآيتين في سياق الآيات التي تسبقها وتلحقها:

«فما لهم عن التذكرة معرضين. كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة. بل يريد كل امري منهم أن يؤتى صحفاً منشّرة. كلا بل لا يخافون الآخرة. كلا إنه تذكرة. فمن شاء ذكره. وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة» (سورة المدثر، 49- 57).

فقد أعرض المشركون عن الدين الجديد وعن القرآن، الذي هو تذكرة، وليس كتباً مكتوبة مسبقاً، كما لو أنها حمير استنفرت، وأعرضت بوجهها وأعناقها، لأن هناك من فَرّها قسراً بعنف وشدة، أي فتح أفواهها، وفصل فكيها عن بعضهما كي يتخبر سنها وعمرها. عليه، فالتذكرة، أي القرآن، بدت كما لو أنها عملية فرّ لهم، فاستنفروا كما تستنفر الحمير المفرورة. بذا، فكلمة «قسورة» أتت على المعنى الرئيس لجذر «قسر»، وهو معنى القسر والإكراه: «القَسْرُ: القَهْرُ على الكُرْه. قَسَرَه يَقْسِرُه قَسْراً واقْتَسَرَه: غَلَبه وقَهَره، وقَسَرَه على الأَمر قَسْراً: أَكرهه عليه» (لسان العرب). ومن خبر على الحقيقة كيف يزعج الحمير، والدواب عموماً، أن تقسر فتح أفواهها لمعرفة سنها، يمكنه أن يفهم التشبيه الموجود في الآيتين جيداً. فهي تميل بأعناقها بقوة محاولة تجنب التجربة غير المفرحة. كما أنها تطبق أفواهها محاولة عدم السماح بفتحها عنوة.

من ناحية أخرى، فقد اخترنا أن نفهم كلمة «مُنشّرة» في تعبير «صحفاً مُنشّرة» على أنها تعني ببساطة: صحفاً مكتوبة. ذلك أن القرآن لم ينزل كصحائف مكتوبة، كما كان الأمر مع ألواح موسى التي كتبت على الحجر، بل نزل كلاماً متلواً، ثم نشّر، أي كتب، بعد ذلك، وصار صحفاً مكتوبة. نعرف بالطبع أن هناك من اقترح معاني أخرى كثيرة للجملة، لكن يبدو لنا أن هذا هو المعنى المقصود في الحقيقة. فالمشركون كانوا يريدون أن ينزل القرآن من السماء عليهم مكتوباً، هكذا مباشرة، كي يؤمنوا به. فنزوله مكتوباً من السماء، هو الدليل الأكبر على صحة مصدره. تأييداً لهذا، جاء في «اللسان»: «وفي الحديث أَنه قال: فلعل طَبًّا أَصابه، يعني سِحْراً، ثم نَشَره بِـ: قُلْ أَعوذ بربّ الناس، أَي رَقَاهُ؛ وكذلك: إِذا كَتب له النُّشْرة» (لسان العرب). بذا فالنُّشرة هي الرقية المكتوبة كتابة. ومنه التناشير، أي صحف الأولاد في الكتاتيب: «ابن سيده: والتَّناشِير: كتاب للغِلمان في الكُتَّاب، لا أَعرِف لها واحداً» (لسان العرب).

هذا الفهم للآيتين يوضح إلى أي حد كان التشبيه القرآني مهيناً للمشركين، فهم قد أعرضوا عن القرآن، واضطربوا لنزوله كما تضطرب الحمير التي تُفتح أفواهها قسراً من قبل يد قاسية عنيفة لكي يكشف عن سنها. لقد كان القرآن إذن نوعاً من الاختبار لنضوجهم وحكمتهم. وهم قد فشلوا في هذا الاختبار القاسي.

بناء على كل هذا، فالآيتان لا تحويان أسوداً ولا صيادين ولا آلتهم الهجومية، كما أنهما لا تتحدثان عن حمير وحشية، بل عن حمير أهلية. وبذا فإن معاني «الصياد، الرامي، حبال الصيد، الأسد» لكلمة «قسورة» ليست أصلية في اللغة العربية، بل هي معاني جرى افتراضها، من دون دليل كاف، لفهم الآيتين اللتين تعرضتا لسوء فهم عميق.

* شاعر فلسطيني

«السلام عليك يا رسول الله» لعادل قريشي (طباعة على ورق ــ 147 × 202 سنتم ــ 2015)